الإطاحة

بعرش أكابر الدجالين في الساحة

تأليف

هاشم الحسين رجب

الناشر
دار الرضا

○ الطبعة الأولى ○

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الناشر

دار الرضا

شارع النوبتي - أم المصريين - الجيزة

ت / ٥٦٩٤٥٤٠

الإطاحة

بعرش أكابر الدجالين في الساحة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

الحمد للَّه مبدد ظلمات الأرض ببعثة المرسلين وجاعلهم سادة على الأمم وفارضهم قادة لكل العالمين نحمده تعالى أحيا بهم أمما وأيقظ بهم همما ودحر بهم زمر الشياطين وعصمهم من الأوهام ونأى بهم عن أنواع الذنوب والآثام فحرم بهذا مخالفتهم وحذر من التقدم بين أيديهم ومشاقفتهم وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ونشكره سبحانه مدى الأزمان ونصلي ونسلم دائمًا على من ختم الأديان وعلى آله الطيبين المبرئين بنص القرآن كما نترضى دائم الدهر على أصحابه قمة الأمة وأولي العدل والإحسان ونسأله اللطف والتوفيق والسداد لكل من سار على نهجه وتمسك بسنته في كل عصر وآن.

أما بعـد :

فهذه نبذ معتبرة وجمل مختصرة قد التقطتها من مؤلفات قادة فرقة السمانية وعظمائها تمثل بمجملها فكر النحلة عقيدة وتعبدًا وسلوكًا وتصورًا وقد تولى قادة الفرقة على مر السنين رعاية هذا الخليط الفكري الفاسد فزينوه للأتباع فأغرقوهم في بحار من الأوهام وأيدوه بشبه ظاهرة الهزال مبتوتة الصلة بالسماء ويشهد العقل والنقل ببطلانها فكان أمرهم ظلمات بعضها فوق بعض ومع هذا فقد صارت هذه الأباطيل دينًا فمن نظر في جزئياتها أو

غلط بعض براهينها ومرتكزاتها عادوه وآذوه واستحلوا عرضه فلطخوه وقد تبين لي بعد دراسة ما تيسر لي من مؤلفاتهم أنهم من أضل زمر التصوف وأردئها عقيدة وأبعدها عن الجادة وأشدها إفسادًا للمجتمع؛ ومثل هذه النحلة الفاسدة وجب على من عرفها فضحها وهتك سترها وتبيين خطرها إبراءً للذمة ونصحا للأمة؛ ولهذا اختصرت هذا القدر وأسميته «**الإطاحة بعرش أكابر الدجالين في الساحة**» مع إهمالي لكثير من مرذول أقوالهم فالقدر كاف إن شاء اللّٰه لإظهار ضررها والإطاحة بما شيدته وهو واف بما يخيف المؤمن الحريص وإبعاده عنها كما ينقذ أيضا من شراكها كل من فتح اللّٰه عليه بعقل سليم، ولا يفوتني أن أنبه إلى أمر مهم ألا وهو أني لا أعادي لإدراك مطامع دنيوية أو أسعى بتأثير بغضاء شخصية أو أهاجم استجابة لفطرة عدوانية وإنما هو الدين وواجب النصح وأمانة العلم بهذه النحل واللّٰه وحده هو الذي سنرد إليه وسيفصل بيننا وهو أحكم الحاكمين ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾.

أخيرًا لا يفوتني أن أزجي جزيل شكري إلى الأخ الدكتور عبدالكريم مدير معهد الدعوة بالكلاكلة على تعاونه الصادق معي في طباعة هذا البحث في معهده العامر وتقديمه على ما سواه من لوازم الدراسة فجزاه اللّٰه أوفى الجزاء فقد وفر علي جهدا مضنيًا ووقتا مزدحمًا وأزاح عني حيرة بالغة عندما اصطدمت بكثير من هلكى هذا الفكر الزائغ وهم من عمال وموظفي مواضع الطباعة كما أشكر ابننا الطيب عندما ضحى بأوقات راحته في سبيل إنجاز طبع البحث فلهما مني أجزل الشكر وأوفره.

اللَّهم منزل الكتب وباعث المرسلين تقبله مني واجعله من خالص أعمالي وصالح ذخيرتي وبلغني به رضاك وأدخلني به جنتك ثم صل اللَّهم على المقتدى به في العالمين والمتشبه به دون الخلق أجمعين وعلى آله وأصحابه الطيبين جملة وسلم تسليمًا كثيرًا.

أم الطيور/ السودان

٦ من شعبان ١٤٢٢هـ ١/ ١١/ ٢٠٠١م

السمـان مؤسس الطريقة

هو محمد بن عبدالكريم بن محمد بن حسن الشهير بالسمان ولد بالمدينة النبوية في عام ١١٣٠هـ الثلاثون بعد المائة وألف وقد تتلمذ بعد أن شب على زمرة من مشايخ المتصوفة الموجودين في تلك النواحي أشهرهم الشيخ محمد سلمان والشيخ مصطفى البكري وتلقن من الثاني الطريقة الخلوتية المنشقة من القادرية كما تتلمذ على الشيخ عبدالوهاب الطنطاوي الصوفي فامتلأ من هذا المعين المتعكر ثم استقاء بعد برهة من الزمان أسرار هذه المشيخة في نحو الثماني مصنفات كلها في تنطع التصوف وهوسه كعلو الرتبة ووحدة الوجود وعلم الباطن وما شابه ذلك ويظهر من بعض فقرات سيرته أنه لم يكن مسبوقا في هذه المهازل التي بثها في تلك الديار الطاهرة فقد تعرض لحملة من الاستنكار من قبل سكان المدينة المنورة وفوجئ بسيل من الاحتجاجات فقد كان يقول لتلاميذه دعوهم فإنهم لم يسمعوا مثل هذا من قبل. وقد مكث الشيخ في المدينة يبحث عن فريسة لينفث فيها سمه فطفق يتفحص وفود القادمين إلى المدينة من أقاصي الأرض ونواحيها إلى أن ظفر ببغيته وأمسك يوما بضحيته وذلك في بعض شهور عام ١١٧٠هـ عندما وصل إلى تلك البقاع أحمد الطيب البشير السناري السوداني الصوفي.

فاستماله السماني فمال بعد أن أغراه بالفوز والوصول إلى أعظم درجات القرب وأرفعها فاستكان وسقط بين يديه كالميت بين يدي غاسله فأنشب السمان مخالب خداعه ونفث فيه كل سمه وأفرغ كافة زوره والمسكين يستسلم له كل الاستسلام وقد والى الشيخ على تلميذه الاختبار بعد الاختبار وعقد

له الامتحان بعد الامتحان من ذلك أنه أمره مرة بالسفر إلى السودان فغادر التلميذ وتوجه إلى جدة وعندما وصل وحط متاعه في المركب مع صحبته أتاه رسول شيخه السمان يأمره بالرجوع إليه في المدينة فامتثل التلميذ الأمر بلا تردد وفارق رفقته وتجشم الرجوع إلى شيخه مع بعد الشقة وصعوبة السفر وقت ذاك وعند ذلك علم السمان أن صاحبه هو الوزير المطلوب والنائب المرغوب فأذن له بالرجوع بعد أن أفاض عليه من علومه كطريقة استخراج الوفق وخاصية المثلثات واستحضار الجن فامتلأ من هذه الأباطيل غرورا وحشي إلى أذنيه وهما وزورا حتى أنه كان يظن أنه يمكنه تحويل مجرى النيل ورجع يحمل أيضا مع ما سبق طرق التصوف الخمسة وهي القادرية، والخلوتية، والنخشبندية، والأنفاسية إضافة إلى طريقة شيخه «**السمانية**» والتي قام بنشرها وحدها في السودان هذا وقد حاول السمان اصطياد فريسة أخرى هو المدعو أحمد التيجاني المشهور إلا أن التيجاني راوغ متعللا ببعض العلل حتى أفلت من شراك السمان ولم يكد هذا ولم يكن تعللّه إلا طمعه في إدراك قمة الولاية الكبرى وحيازة الدرجة العليا والمرجعية العظمى. فراوغ السمان حتى انفلت منه واختفى في الفيافي الإفريقية.

كلهم يغدو لصيد كلهم يمشي رويد

مكث السمان في مكانه وظل ينشر أباطيله وهزيانه حتى أخذه الحق ومات وهو في نحو الستين وذلك في حدود عام تسعة وثمانين بعد المائة وألف لكنه ترك خلفه ما يشبه الجبال من البدع وأنواع الباطل ولو لم يكن فساده إلا تلميذه الأوحد وناشر فكره الأكبر في السودان وهو أحمد الطيب لكفاه خزيًا.

أسأل اللّه أن يرد أتباعه إلى طريق الحق.

البـاب الأول

اللّه في فكـر السمانية

وحـــدة الـوجــــود

كل ما على الأرض هو اللّه

كــل فـاعــل هــو اللّــه

كـل مـفعــول هـو اللّـه

أسمــــاء اللّــه الجـديـدة

وحدة الوجود:

السمانيون العارفون بطريقتهم يتقلبون في منازل رفعة يتوهمونها ودرجات قرب يزعمونها فهم لهذا في ظلمات الظن وبحور الخيال، وقد ساقهم خيالهم إلى حقيقة ظنية ودرجة وهمية الكل فيها منهم طامع وإليها مشدود وناظر يسعى للوصول إليها ويجهد أقوى الجهد وأشده لإدراكها فما هي هذه المنزلة؟ وما هي هذه الدرجة؟ عافاك اللّه! قال عبدالمحمود[١] حاكيا عن شيخه أحمد الطيب البشير يروي عن شيخ الطريقة السمان قال كنت ذات يوم بين يدي شمس الدين وسلطان العارفين أبي عبدالكريم سيدي وأستاذي محمد عبدالكريم بالمدينة المنورة في زاويته العظمى وبيته الأحمى فمد رقبته وقال: هاهنا علوم لو نشرتها قطع هذا الحلقوم ثم أشار إلى نبذة منها بقوله:

هذا الوجود وإن تعدد ظاهرًا وحياتكم ما فيه إلا أنتم

وهذا المعنى الذي تضمنه هذا البيت هو في غاية الوضوح ومطابق لما نطق به عبدالكريم الجيلي حين قال[٢] مخاطبًا ربه تعالى

ما للخليقة إلا اسم الوجود على حكم المجاز وفي التحقيق ما أحد
فعندما ظهرت أنواره سلبوا ذاك التسمي فلا كانوا ولا قعدوا

---

(١) النصرة العلمية ص ١٠٣.

(٢) الإنسان الكامل ج١/ ص٩٠ و ٦٢ ج٢ ص ١٢٢ وفي هذا المؤلف من عقائد الزيغ ما لا يخفى على عاقل فضلًا عن عالم كتصويبه لكافة الفرق الوثنية وتصريحه بعقيدة وحدة الوجود، وهو الأمر الذي وصم كل من اعتقده بالكفر عند العلماء. راجع كتاب (تنبيه الغبي) للحافظ البقاعي من علماء القرن السابع.

أفناهم وهم في عينهم عدم وفي الفناء فهم باقون ما جحدوا
فالعبد صار كما أن لم يكن أبدًا والحق زال كما أن لم يزل أحد
فعدما عدموا صار الوجود له وكان ذا حكمة من قبل ما وجدوا
لكنه عندما أبدى ملاحته كسا الخليقة نور الحق فاتحدوا
أفنى فكان عن الفاني به عوضا وقام عنهم وفي التحقيق ما قعدوا
كالموج حكمهم في بحر وحدته والموج في كثرة بالبحر متحد
فإن تحرك كان الموج أجمعه وإن تسكن لا موج ولا عدد

وقال:

فأنت الوراء حقا وأنت أمامنا وأنت الذي يعلو وما هو واضع
وما الخلق في التمسال إلا كثلجة وأنت بها الماء الذي هو نابع
وما الثلج في تحقيقنا غير مائة وغير أن في حكم دعته الشرائع
تجمعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع

هذا وقد كان الشيخ أحمد الطيب مؤمنا بهذه العقيدة داعيا لها مرشدا لأتباعه دائمًا للاستمساك بها وكان دائم التصريح بأن كل شيء هو اللّٰه، وقد حكى حفيده صاحب أزاهير الرياض عنه قال[1]: «**أنت مع الوجود ما دمت تشهد لك وجودا معه**» ويخبرهم أن الرفعة والاصطفاء وأقصر طرق الوصول إنما هو الانخلاع عن مشاهدة الغيرية في الأنا وأن الحق الذي لا مرية فيه أن الوجود كله هو اللّٰه وكان لهذا يتمثل بهذين البيتين من الشعر دائما لترسيخ ذلك في نفوس مجالسيه وهما[2]:

(١) أزاهير ص ١٠٨.
(٢) أزاهير ص ١٣٢.

أجرد عن مقام الزهد قلبي وأنت اللّه وحدك في شهودي
أأزهد عن سواك وليس شيء أراه سواك يا عين الوجود

ثم يكرر قول شيخه السمان[١]:

هذا الوجود وإن تعدد ظاهرا وحياتكم ما فيه إلا واحد

وهذا كله يوضح انزلاق فرقة السمانية في عقيدة الوحدة.

وفي الأزاهير أيضًا: « ومن كلامه يعني الشيخ الطيب وحكمه الذي شهد له بتحقيقه لهذا المقام قوله: « إن أوصلك المنان إلى أعظم مكان أشهدك لا أنت ولا مكان وكان اللّه ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان[٢] » قلت ويعني الضال بهذه الوسوسة أن أعظم المنازل وأرفع الدرجات هي إدراك معنى: كان اللّه قبل خلق الخلق ولا شيء معه وهو الآن بعد إيجاد الخلق لا شيء أيضًا معه مثلما كان قبل خلق الخلق ففي نظر هذا المسكين أن العقيدة الصحيحة هي اعتقاد الوحدة وأن إدراك هذه المعرفة هو أعظم ما يعطاه العبد من المعارف وينعم به عليه. وبلوغ السماني هذا الحد هو ارتقاء القمة العظمى والوصول إلى أقصى منازل السائرين وقد كذب وخزل لعمر الحق بل أرفع درجات الموفقين أن يسيروا على آثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ويماثلونهم في معتقداتهم كما قال الحق: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة : ١٣٧] كما قال تعالى فيها على ضرورة التشبه بهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

(١) أزاهير ص ٢٣٣.
(٢) أزاهير ص ١٩٧.

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة: ١٠٠].

فهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بنيات الطريق

أخي القارئ لعلك تحتاج إلى مزيد تأكيد لسقوط هذه النحلة في هاوية وحدة الوجود ولك علينا ذلك فهاك مزيدًا ما بعده مزيد لتعلم من هو الشيطان المريد حقيقة والجاهل الطريد أهو مؤسس دولة العلم والتوحيد الماثلة اليوم أم شياطين السبل ودعاة الوحدة والاتحاد وأساتذة الكهانة؟(١)
يقول صاحب كتاب قطوف أزهار(٢):

اعلم يا أخي أن هذه الطائفة القائلين بوحدة الوجود استدلالهم عليها من الكتاب والسنة وعلى ما فهموه بفراسة الإيمان وتعليم اللّه لهم الدال عليه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢] «وليس علم الخالق كعلم من يأخذ من المخلوق... إلخ» قلت ويعني المسكين أن السمانية وما أشبههم من المتصوفة يأخذون العلم مباشرة من اللّه وليس من مخلوق والسؤال البديهي هنا هو أيعني هذا السماني أنهم أخذوا هذه العقيدة من اللّه مباشرة؟ وهل تم ذلك بواسطة الوحي الملكي أم بطريقة المكالمة المباشرة كالذي ميز به موسى بن عمران فيكون أقطاب السمانية في عداد الأنبياء؟ فإن قالوا ذلك كفروا. ولكن هل يوحى إلى كل

(١) هكذا وصم عبدالمحمود محمد بن عبدالوهاب مؤسس دولة العقيدة والشريعة التي مضى عليها قرنان من الزمان دأبت فيها خلال هذه الفترة في نشر العقيدة في أقاصي المعمورة وها هو أثرها في كل موضع فقبح اللّه التعنت.

(٢) قطوف أزهار/ ١١٤.

سماني أم أن الأتباع يتلقون من القادة كما تتلقى الأمة من نبيها صلى اللّه عليه وسلم؟ فإن قالوا يوحى إلى الأتباع فجروا وافتضحوا وليس لهم أن يتولوا إرشاد تلميذ أو يفتخروا عليه أو يتعاظموا على أحد بحجة أن اللّه أعطاهم وعلمهم من لدنه علمًا وآثرهم على من سواهم وإن قالوا لا يوحى إلى تلاميذنا وإنما يتلقون منا عقائدنا. قلنا فعلمهم علم من يأخذ من المخلوق وهم إذا ساقطون - كما سقط عندهم من يأخذ بالقرآن وظواهر السنة! ونقول أيضًا منبهين وسائلين لقد تلقى محمد ﷺ أكثر أمور الملة الإسلامية من جبريل أمين وحي اللّه إلى رسله وبهذا قد أخذ عن المخلوق - وقد انطبق عليه قولكم السابق «**ليس علم الخالق كعلم من يأخذ** ...» أفهو بهذا متدن في حصيلته هذه أيها الزائغون؟ ونقول أيضًا: لقد كان أصحاب محمد أولياء بررة مثل حضراتكم - على فرض التسليم بولايتكم. فهل تنطبق عليهم قاعدتكم « ... **ليس علم** ...» أم أنهم كانوا يأخذون عن اللّه مباشرة؟ فإن قالوا يوحى إليهم مثلنا قلنا: فهل يتفق الوحيان ما يوحى إلى الصحابة وما يوحى إلى السمانية؟ فإن قلتم يتفقان قلنا كذبتم فأنتم على غير طريقهم وإن أقررتم بالمخالفة قلنا فسقتم وانكشفتم ويلزم من هذا القول الفاسد بقاء النبوات واستمرارها والتزام القول بذلك لكفر لا خلاف فيه بين كافة علماء الأمة فأين المهرب؟ وفي حالة القول باتفاق الوحيين نسأل السمانية فنقول: هل يتطابق الوحيان مع الوحي المنزل على محمد ﷺ وأعني موضحًا سؤالي هل يتفق ما يوحى إلى الأولياء السمانية والصحابة مع وحي محمد بن عبداللّه الخاتم فإن كان الوحيان في تطابق مع وحي محمد ﷺ فبما كلف مشايخ المتصوفة السمانية أبما يوحى إليهم أم بما يوحى إلى محمد ﷺ؟ فإن قالوا نعمل بما يوحى إلى المشايخ فليسوا على دين الإسلام وإن قالوا نعمل بما أوحي إلى محمد فنقول لهم إن أصحاب النبي رضوان اللّه عليهم كانوا

يسيرون خلف نبيهم وبهداه يقتدون ولأمره ينقادون فعلى من رام غير طريقهم الرجوع من التدين بالأوهام والتخرصات المهلكة والتمسك بما جاءوا به وبثوه بين الأمم؛ إذ أن مفارقتهم هلكة وتخطيهم دمار ها هو القرآن بيننا وبين السمانية ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

فكيف تنصب نفسك بعد هذا البيان رأسا أيها المخدوع؟ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام : ٩٣] إن الآية الكريمة التي احتج بها لا تبشر الأتقياء برسالة جديدة ولكنها تبشرهم بعلم ما جاء به محمد ﷺ والتفقه فيه وقد حصل الأمر للصحابة الأبرار اتقوا اللّه ففهموا ما جاء به محمد ﷺ ولم يفوتهم منه إلا قدرا يرشد إلى الفرق بين الرسالة وغيرها من درجات الإيمان والصلاح ومع هذا فما كانوا ينشرون غير ما علموه من رسولهم ولم يزعم أحدهم أنه يأخذ الأحكام من اللّه مباشرة كما تزعمون أيها المضلون فأشهد اللّه أنكم على غير نهجهم وقد تتلمذ على الصحابة المئات بل الآلاف من التابعين ونقلوا عنهم أقوال الرسول كما تتلمذ على فقهاء التابعين الألوف من أتباع التابعين فنقلوا عنهم أيضًا ما نقلوه عن أصحاب النبي ﷺ وهكذا ظل العلم متنقلا من عدول البشر إلى عدول البشر حتى دونت المصنفات وهذا عين ما أرشد اللّه إليه في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣]

فقوله سبحانه ﴿فَسْئَلُوٓاْ﴾ يكشف زيغ كل من زعم أن من أخذ من الخلق فقد تدنت درجته وساءت حصيلته بل إن الإغراق في هذا الفهم ربما خرج بصاحبه عن دين الإسلام جهارا نهارا فإن من زعم أنه اهتدى إلى أحسن الطرق في تحصيل المعرفة وهون من شأن ما أرشد اللّه عباده إليه من طرق التحصيل فهو مارق زنديق . فهذه الزمر التي ذكرناها من القافلة المسلمة أطيب مستودع وأطهر خزائن العلم فمن رام الوصول إلى الحقائق بالتوهمات والظنون فقد رام المستحيل وسيجد نفسه يوما على باب الجحيم فليس هاهنا وحي مسترسل ولا نبوة تتوالى وهذا التصور مناف تمام المنافاة لقوله ﷺ في الحديث الصحيح(١) : « **رضيت باللّه ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا** » فقول هذا الضال يفضح وجود شك في نفوس هؤلاء تجاه هذا العلم الموروث ويدل على أن طريق النجاة عندهم غير الذي بينه القرآن وأوضحته السنة. هذا وقد كان قائم السمانية الآن في قرية الزريبة صريحا في هذا المعتقد الضال عندما قال منشدا كاشفا أمر قومه فاضحا أوهامهم وزيغهم:

سمعوا من المولى كلاما يا له ... من حكمة نسجت بقول محكم
ورووا حديثا صح عن مختارهم ... من غير واسطة البخاري ومسلم

وسيأتي هذا في باب وحي السمانية ولنرجع إلى قول صاحب قطوف وهو يواصل تدليله على صحة عقيدة وحدة الوجود ويقول مواصلا: أما دليلهم من الكتاب والسنة فقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ أي وجود اللّه لا وجود غيره. اهـ.

(١) حديث (... رضيت...) رواه أحمد والنسائي وأبوداود والترمذي وهو حديث صحيح.

ويعني هذا المخدوع أن اللَّه فوق وتحت ويمين وشمال وشرق وغرب وهذا دين عبدالكريم الجيلي عندما قال:

فأنت الورى حقا وأنت أمامنا وأنت الذي يعلو وما هو واضع

وقوله: «**وجود اللَّه لا وجود غيره**» يعني صراحة أن ليس في الكون وجود غير وجود اللَّه ومن قال بهذا لزمه القول أن من يمم شطر المرحاض أو الخلاء أو البار أو العاهر فقد يمم وجه اللَّه وهذا أكفر الكفر وأشده وقد التزمه العتاة من أهل الوحدة قاتلهم اللَّه أنى يؤفكون ثم قال الرجل: «وثم آيات أخر تدل على وحدة الوجود ومن السنة قول النبي لو دلي حبل من السماء ما وقع إلا على اللَّه» قلت: ومقصودهم أن هذا الحبل المزعوم المدلى من السماء إلى أرض المخلوقات لكان نزوله على اللَّه وإن نزل على إنسان أو بقرة أو كلب أو خنزير أو ثعبان أو على بعض الجمادات كالجبال وغيرها فحيثما كان هبوطه على شيء من هذه المخلوقات كان هبوطه حقيقة «**صوفية**» على اللَّه هكذا زعم ودلل بهذا الحديث[1] المفترى ولو كان هذا الضال حيا لتوجهنا إليه بما لدينا من استفسارات ولكن طالما كان خلفاؤه وأبناؤه في الطريقة السمانية أحياء قابعون فإننا سنحيل أسئلتنا إلى خليفة السمانية الأكبر الآن ونحن واثقون أن ما يعتقده قائم السمانية الآن هو نفس معتقد الذين سبقوه فأقول لهم ببساطة وأرجو ألا تنفر نفوسهم «**الصوفية**» من هذه البساطة فأقول لو هبط هذا الحبل على حمار أفهو اللَّه عندكم كما زعم كبيركم هذا أم لا؟ فإن كانت إجابتكم بنعم فأنتم أشد كفرًا من اليهود

(١) حديث الحبل المذكور رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وحديثه معضل أو منقطع ومتنه منكر راجع تفسير ابن كثير تحت قوله في سورة الحديد ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ ...﴾ وراجع أيضا العلو للحافظ شمس الدين الذهبي.

والنصارى القائلين إن اللّه هو المسيح فإن المسيح نبي كريم لا يقارن بأكثر الأخيار المكرمين من أهل الإيمان دعك من دواب الأرض وعجماواتها وإن قلتم لم يهبط على اللّه فقد أكذبتم أكابركم وحرم عليكم التأسي بهم ثم دلونا على أمرين آخرين هما أيكم تمسك بهذا الحديث في هذه الحالة شيخكم أم أنتم؟ أم أيكما أخطأ في الفهم شيخكم أم أنتم؟ ومن عرف الصواب منكم هل عرفه بوحي جديد أم بفهم الذين أخذوا عن أهل الذكر؟ وثم أسئلة أخرى أرجو أن لا تضيق بها نفوسكم التي صفت وشفت فنقول: لو هبط هذا الحبل على مخمور يتعسر في طريقه وهو متواصل الغي ومسترسله وهو في هذه الحالة لا يستبين طريقه إلى منزله ويسترشد النساء والأطفال أيكون هذا هو اللّه رب العالمين هذا لو افترضنا صحة الحديث؟

ولو هبط حبلكم هذا على مسكين يسترحم الناس يستجديهم ويشكو إليهم فقره وجوعه وهو ممزق الملابس متسخ الهيئة ومستقبحها أيكون هذا هو اللّه؟ ولو هبط على متبرجة وهي تبحث عن عشيق لاهثة زائغة البصر والبصيرة أيكون هذا الموضع هو اللّه؟ أخيرًا لو نزل هذا الحبل مائة مرة وكان مرة على ميت ومرة على فأر ومرة على صائح يستنجد ومرة على بعض أعداء المتصوفة أيكون هذا هو اللّه؟

أيتها الدواب الحمقاء واللّه لا أجد لكم وأضرابكم من أهل هذا الطريق منذ القدم شبهًا إلا من وصفهم القائل في قوله:

قيل لي في الدير قوم أدركوا سر الحياة
غير أني لم أجد غير عقول آسنات
وقلوب بليت فيها المنى فهي رفات

بل واللَّه أسوأ من هذا الموصوف أما الحديث فقد ضعفه جملة من أهل الحديث الأقدمين ويدل على صحة قولهم مخالفة الحديث لمئات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومنافرته السافرة لعقائد سادة الأمة وأحبارها من لدن صحابة نبيها رضوان اللَّه عليهم. ثم أورد دليله الثالث وهو: (اتق اللَّه حيثما كنت تجده تجاهك) وهذا الحديث متضمن لوجود شرط ومشروط: فالشرط لمن أراد أن يشهد تلك التقوى، والمشروط هو وجدانه للحق حيثما توجه، فمن أقام جدار التقى عثر على كنز الوجود المطلق ووافق في الشهود والاعتقاد القائلين بتوحيد الوجود... إلخ).

قلت: أما هذه الجملة المبرهن بها فليس من حديث النبي ولكنها مركبة من حديثين هما:

الأول: «اتق اللَّه حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

والثاني: «احفظ اللَّه تجده تجاهك....».

فأما الأول:(١) فإنما يرشد إلى تقوى اللَّه في كل مكان وأن لا صلة لهذا بوحدة الوجود فلا يثبتها ولا هو ينفيها.

أما الثاني:(٢) فلا يدل، وبقليل من التأمل، على وجود اللَّه في مكان أو في كل مكان، وبالتالي لا يعاضد حديث الحبل أدنى معاضدة في دلالته المتوهمة، ولو أخذنا هذه الجملة المركبة بكاملها لم نجد أيضًا فيها دلالة لهذه

(١) حديث اتقي اللَّه... رواه الترمذي عن أبي ذر قال: حسن صحيح وفي الباب عن عائشة وأنس ومعاذ.

(٢) حديث احفظ اللَّه... رواه أحمد والترمذي عن ابن عباس كما وردت وصية ابن عباس هذه من رواية علي وأبي سعيد وسهل بن سعد وعبد اللَّه بن جعفر.

العقيدة الكافرة: ﴿أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ وكلمة تجاهك- قطعا- لا تدل على التحتية ولا الخلف ولا الوراء ولا غير ذلك، ثم إن الاتجاهية المذكورة مشروطة بالتقوى مع أن التقوى، وجودًا وعدمًا، لا ينبغي أن تكون مؤثرة على الصفات الإلهية بمعنى أن المجتمع لو اتقى صار إلهه فيه، بل صار الكون كله هو الإله المعبود، فإذا انحرف المجتمع صار اللَّه فوقه وقد يتماشى هذا مع معتقد القائلين بالحلول، ولقوله هذا صورة أخرى وهي أنها: إن اتقى الخلق ربهم صار الواقع هكذا (اللَّه وليس معه شيء) وهذا النسج أشد وهاءً من بيت العنكبوت، وأظهر في ضعفه من شمس الضحى ومن المناسب جدًّا التوجه بالسؤال الآتي إلى أتباع فرقة السمانية القائلين بوحدة الوجود وهو: لقد قام رسول اللَّه ﷺ ليلة المعراج وعرج مع جبريل متخطيا هذا الفضاء الشاسع ثم عبر هذه السموات الواحدة تلو الأخرى، وهو يتجه إلى اللَّه لمكالمته فلو كان اللَّه في التحت واليمين والشمال، فلم اتجه رسول اللَّه ﷺ إلى جهة العلو؟ وأنتم تعلمون أن رسول اللَّه رأس الأتقياء أم ماذا تقولون في تقواه؟ وطالما كان الحبل السابق الممدود من السماء سيسقط على اللَّه كيفما وأينما كان سقوطه فلماذا التوجه إلى أعلى السموات بل فوقها؟ إن عشرات النصوص تكذب هذا الفهم الخاطئ وتدفعه بقوة، وتدل أوضح دلالة على أن هذا المتبادر إلى ذلك العقل الآسن لهو من فيض الشيطان ونزغه، وليس من ثمرات التقوى وإلهام الحق سبحانه، فإن الذين شهد اللَّه لهم بحيازة التقوى قد أُلهموا غيرَ إلهام الصوفية فقد قال عنهم سبحانه وتعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

فها هو شاعرهم ينشد قائلًا[١]:

شهدت بأن وعد اللّٰه حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا

فقل لنا يا قائم السمانية مرة أخرى إن سلمنا أنكم من الأتقياء البررة وأن منتهاكم قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ فهل تعلمون أن الصحابة أتقياء بررة للّٰه؟ إن نفيتم ذلك كفرتم بعشرات الآيات ولحقتم بركب الإثنى عشرية الإيراني وعقيدتهم في سادات الصحابة، وإن أثبتم تقواهم ألزمناكم الرجوع إلى مذاهبهم فهم أولى بدين اللّٰه من مشايخكم، فكم - باللّٰه - بين تلاميذ عبد الكريم السمان، وبين تلاميذ المصطفى الهادي البشير؟ ومن هو الشيخ الطيب وما تلاميذه؟ ظلمات بعضها فوق بعض.

ثم أورد الشيخ شبهته الرابعة فقال: قوله عليه السلام: «كان اللّٰه ولا شيء معه» أي موجود ثم إن العلماء الراسخين في العلم لما خافوا أن يبادر إلى فهم أحد من العوام أنه قد كان ذلك قبل وجود الأشياء أزالوا الشبهة فقالوا: وهو الآن على ما كان عليه أي ليس له شريك في الوجود الآن كما كان في الأزل فعليه وما تراه من الموجودات فهي مظاهر الوجود المطلق).

قلت: أما أصل الحديث فهو صحيح ونصه كالآتي: «جئنا لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان قال كان اللّٰه ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض ....» إلخ[٢] فاللّٰه العليم

(١) الأبيات للصحابي الجليل عبد اللّٰه بن رواحة رضي اللّٰه عنه وقد صحح إسنادها ابن عبد البر في التمهيد.
(٢) قوله كان اللّٰه... رواه البخاري عن عمران بن حصين في بدء الخلق.

بما يصلح العباد هو الذي أوحى إلى نبيه ﷺ هذا الخبر وهو يعلم أن متنه هذا مصلح غير مضر، كامل غير ناقص، وليس فيه من ثغرة ليسدها ذكي من الجن أو الإنس فمن أضاف إليه جملة وهو الآن على ما عليه كان فليس من الراسخين جزمًا، وإنما هو من المنحرفين عن صراطه المستقيم، من أهل وحدة الوجود الذين أصابهم الذعر من كل نص يفسد عليهم خططهم في التضليل، ويهدم لهم ما بنوه من الأباطيل. إنهم يريدون إفهام العباد أن الوجود القائم الآن المشاهد في العلو والسفل ما هو إلا مظهر مجازي فقط كما قال قائلهم:

ما للخليقة إلا اسم الوجود على حكم المجاز وفي التحقيق ما أحد

وكقول الآخر:

كالموج حكمهم في بحر وجدته والموج في كثرة بالبحر متحد
فإن تحرك كان الموج أجمعه وإن تسكن لا موج ولا عدد

ثم قوى مسلكه ببعض زعوم ومشاهدات لرفاق نحلته فقال:

واعلم أنه مما منَّ اللَّه به على بعض أصحاب شيخنا أنه أراه الحق كشفًا عدم الأشياء ووحدة الوجود منهم العلامة الشيخ الصالح سيدي إبراهيم الغلام المدرس بمسجد خير الأنام فقد قال: خرجت يومًا إلى السوق لأشتري لحمًا فلما وصلت قريبًا من حانوت الجزار فإذا أنا لم أرَ الجزار ولا نفسًا ولا خلقًا ولا أرضًا ولا سماء بل رأيت الوجود بأثره نورًا.... إلخ. قلت: فاستفاد المسكين من هذا التصوير الشيطاني أن كل شيء في الكون إنما هو شيء واحد هو اللَّه فبعضه تاجر وبعضه جزار وبعضه حانوت وبعضه كناس وبعضه امرأة..... إلخ.

فيكون - وهو بهذه الصورة - معرضا للنقص في كل لحظة بموت تاجر أو انهدام حانوت، فإن مات طفل مثلًا انتقص منه جزء أو ولد طفل زاد جزء وهكذا فهو في زيادات دائمًا، وهو في ذات الوقت يتناقص بشدة وسينتهي بالكلية عند نفخ الملك في الصور، ولا تنس أيضًا أنه في خوف دائم كما أنه في طمأنينة في نفس الوقت، ولا تغفل أن بعضه مستضعف وبعضه مستهجن وبعضه قبيح وبعضه منتن، وتعالى اللَّه عن هذا الكفر الذي لم تتفوه به اليهود والنصارى، لقد تلاعبت الشياطين بهذا الأبله ودفعته إلى وثنية مكشوفة تظهر لكل من كان له قلب أو ألقى السمع.

لقد علم الشيطان أن هذا المسكين قد وصل إلى درك منحط من انعدام التميز ومستوى هابط من انطماس البصيرة وارتباك التفكير فسحر بصره وأراد هذه الألاعيب والمساخر ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦] وأقول: مع جاهلية هذا الحبر السماني فإننا نحمد له صراحته المتناهية هذه في الاستدلال لهذه العقيدة الإبليسية الخارجة عن ملل السماء كلها، فقد أوضح لنا بجلاء حقيقة هذه النحلة الفاسدة بهذا المسلك ليَضل بعد ذلك من ضلَّ على علم، وترتفع الجهالة، فلا جزى اللَّه خيرًا من علم الأمة هذا التعليم وأفسد مثل هذا الفساد. ومن طامات مؤسس النحلة عبدالكريم السمان أنقل لك هذه الطامة من قوله[١]: (من أراد علم الوحدة فليلفظ خلف ظهره جميع علومه العقلية والنقلية ويقبل ما نلقيه إليه) وقال مرة لبعض جلسائه مسفرًا ومصرحًا بمذهبه[٢]: (نحن مذهبنا ومذهب محي الدين بن عربي واحد.) فهذا الشيخ يصرح أن وحدة الوجود ليست من

(١) قول الشيخ هذا في قطوف أزهار/١١٧ .
(٢) أزاهير الرياض/ ١٢١ .

علوم الأنبياء ولا في عقول العقلاء، وإنما تلقاها من مشكاة محي الدين بن عربي ولهذا فهو يأمر من أراد تلك العقيدة أن يعرض عما عنده من علوم نقلية. ونختم أخيرًا ببيتين من شعر عبد المحمود نور الدائم[١]:

اللَّه فاعل والسوى مفعولة عجبًا لمفعول يسمى فاعلًا
ودليل هذا في الكتاب وما رميت فذقه كي ترقه علا ومنازلا

ومعنى السوى: الغير في اللغة، كما هو معروف فيصير مجمل معنى البيتين: أن اللَّه فاعل وكل ما هو غير اللَّه مفعول لكن من عجب الشيخ الشديد أن كل مخلوق يسمى اللَّه مع أنه الفاعل أيضًا وشبهته في هذا الفهم المنحرف قول اللَّه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ ويذكرنا هذا المسلك بقول اللَّه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهكذا تتعاضد هذه المشيخة في جمع كل شبهة يظفرون بها ليوهموا العباد أن اللَّه هو كل ما تقع عليه أعين الناظرين؛ ليدخلوا بذلك في مسمى اللَّه كل نجس ومستقذر وكل منحط ومحتقر ارتكازًا على نزغ شيطاني صرف، وهذه مصيبة المتصوفة العظمى فإنهم لا يتطلبون قدوات من السلف وأئمة يقتدون بهم في القول والفعل، لكنهم خراصون خباطون يقتحمون كل ظلمة سوداء بزعمهم إمامتهم وعصمتهم من كل غواشي الشيطان؛ ولهذا كان البلاء بهم على الأمة الإسلامية بلاء شديدًا والنكبة بهم نكبة بالغة.

لقد ذمَّ اللَّه في محكم تنزيله أمة ضخمة عظيمة العدد لما أن تحكمت فيها العواطف والظنون ودفعتها في دروب التيه فألَّهوا نبيهم ووالدته فقال عنهم

(١) ديوانه شرب الكأس.

سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣] وقال أيضًا: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَۚ﴾ [المائدة:١٧] فكم بين هؤلاء وبين أولئك من بون شاسع، ومن تأمل هذا الموضع منهم استبان له أنه في أسوأ المنازل وأقبح المواضع، وسيرى الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. لقد كان أوائل المتصوفة صرحاء في هذا المعتقد حتى قال بعض الأولين من أهل وحدة الوجود:

وما الكلب والخنزيز إلا إلهنا ... وما اللَّه إلا راهب في كنيسة

وهذا عين ما فهموه من حديث الحبل فأخزى اللَّه الكذابين وأتباعهم، وخلاصة القول:

أن هذه الفرقة من إنشاء عتاة جبابرة فسقة من القائلين بعقيدة وحدة الوجود الكفرية كما رأيت آنفًا وقرأت عن شيخها السمان ونائبه أحمد الطيب وعبد المحمود وأنها لهذه الأقوال ينبغي أن تحارب حربًا شديدة، وتكشف كل عوراتها إذ إن كل من اعتقد أن هذه المرئيات الموجودة تمثل جزئيات الإله الواحد القهار فهو كافر عند علماء الأمة الأقدمين، وهداتها السابقين وقد شهد القرآن بكفر من أدخل في مسمى الإله بعض صفواته كما مر فلا ينبغي أن يمتري في كفر من شهد القرآن بكفره، والشك في كفر مثل هذا دلالة على عدم اليقين أو جهل مطبق بهذا الدين، كما أشار الحافظ شمس الدين الذهبي إلى هذا في ترجمة محي الدين بن عربي من ميزانه فعلى من تبع السمانية أن يستغفر اللَّه ويرجع إلى دينه.

من أسمائه سبحانه عندهم :

إذا رأيت يومًا في مقررات المدارس والكليات الدينية ضمن أسماء اللّه الحسنى اسم ليلى فلا تستغربن! فربما كان وزير التعليم من أتباع فرقة السمانية فليلى عند مشايخ الفرقة من أسماء اللّه جل جلاله التي من أحصاها دخل الجنة ومع أنهم لم يشذوا في هذا عن بقية نحل التصوف، إلا أنهم صرحوا بذلك في شروحهم وأشعارهم تصريحًا بينما قال الآخرون ذلك تلميحًا، وإن وجدت أحدًا يرفع يديه إلى السماء وهو يدعو ليلى فلا تظنها العامرية أو الأخيلية ولا تحسبن هذا المتضرع مجنونًا وإنما هو سمانيٌّ يناجي خالق الكون ومجيب المضطرين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه باسمه الجديد الذي تعلمه من مشيخته. نعم هكذا علمت السمانية أتباعها وهكذا زجت بهم في هذا الخبل فأضاعتهم. لقد قال الشيخ صديق عمر خان[1]: (اعلم أن هنا أسماء اصطلحوا عليها الصوفية وجعلوها كناية عن الذات العليا منها: ليلى وأسماء وسلمى وسعدى وعلوى ودعد وزينب وعزة ولبنى ومية.......).

وقال أيضًا: (اعلم أن سعادَ وسلمى كناية عن الذات العلية على اصطلاح السادة الصوفية........) وقال أيضًا: (ظهر لك من أن ليلى وما عطف عليها كناية عن ذات الحق).

قلت: هكذا يصارحنا هذا الشيخ السماني الكبير ويخبرنا بأنهم إذا أطلقوا اسم ليلى فإنهم يعنون بها رب العالمين ولا يخفى على مسلم عاقل أن

---

(١) قطوف أزهار/ ٢٠٢/ ٢٠٣/ ٢٢٤ .

إطلاق شخص اسم بنته ليلى وغيرها على الواحد القهار تلاعب تأباه النفوس السليمة، وأنه إلحاد في أسمائه ومن فعل ذلك فهو داخل في عداد الملحدين واختار مصيرهم الأسود ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] هذا وقد اشتد النكير القرآني على من وصف الملائكة بالإناث وهم العباد المخلوقون فكيف بمن أطلق اسم أنثى على فاطر السموات والأرض بمن فيهما فقال: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] هكذا توعدت الآية من أطلق كلمة الأنوثة على الملائكة فكيف يكون الحكم على من أطلقها على خالق الملائكة وسائر الأكوان؟! إنني أقول، مقسمًا لا أستثني، إن من سمى اللَّه ليلى أو زينب أو سعدى- تعالى اللَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا- كما قال هذا القائل - لهو أكفر كافر وأحط منزلة مما يتصور هو، كما أن من سماه نمرًا أو سماه أسدًا أو عمدة أو كناه بذلك وما شابه عُدَّ كافرا فإن أسماء اللَّه توقيفية لا ينبغي أن يتصرف فيها بزيادة أو نقصان أو اختلاق. والعجب أنه بعد أن أطلقوا عليه سبحانه اسم الأنثى راحوا يتغزلون في جماله ويخاطبونه بتاء التأنيث فها هو عبد المحمود يقول:

محياك يا ليلى بدور طوالع	وإني له صحوا وسكرا أطالع
ملكتي فؤادي بالغرام ومدمعي	على الخد فياض وشوقك لاذع
فوجهت وجهي في الزمان جميعه	إليه بقلب وهو للغير خالع
أرى من يرى في الناس غيرك قتله	يجوز كما قد أوضحته الشرائع
عشقتك مذ قد كنت طفلًا	وإنني لذاتك أهوى وفي وصالك طامع

ثم يقول:

أيا ربة الوجه الجميل فإننا لعزك في ليل نهار خواضع
فمن كان فان في جمالك لم يكن تقيده عنك الدنا والمواضع
فذكرك خمر مسكر لعقولنا وحبك عذب وهو للغير مانع
بك اختفت الأضداد لم يبقَ عندنا سواك ولا من في ثناك مخادع
فتنت قلوب العاشقين وكلهم بحبك هام والدموع هوامع
وكيف دعينا الغانيات عيونها لهاه سمعهن الكل وهو سامع

ويقول في أخرى:

غزت ليلى قلوب العاشقين بجند لحاظها غزوًا مبينا
فأضحوا كلهم في أسر حال تصرف فيهم دهرا سنينا
به هاجوا وتاهوا في معان من اسرار الكرام العارفينا
فأبدوا من علوم الغيب سرا لقد جهلوه كل العالمينا
فياللّه من قوم أديرت عليهم كأس خمر الأندرينا
فياللّه من قوم تغنوا بها من بين كل العالمينا
لهم ليلى أدارت للمحيا بها أضحوا عظاما مرشدينا

ثم يقول متوعدا من ينكر هذا الفهم:

ولا تك ممن طيشته فطانة بها الفكر للإنكار في القلب زراع
فإن طريق العارفين وراء ما تظنه نفس هيجتها الطبائع
فإن كنت ذا عقل إلى الخوض لا تمل لأقوال نفس ليس فيها منافع

وإلا فسيف القوم للضد فصلت ونصرهم بين الخلائق شائع[(١)]

وهكذا يشرد عبد المحمود في ديوانه ويدفعه الشيطان فيوغل. ففي أبياته السابقة يصور الصوفية كأنهم في مجلس خمر وأن ليلى التي زعموا هم أنهم يعنون بها ربهم كانت تدير عليهم الكأس وتصب لهم الخمر.

لهـم ليلى أدارت لـلـمـحـيـا بها أضحوا عظاما مرشدينا

فيا أهل الإسلام أين وجدتم صورة مثل هذه في مناجات الأولين من أصحاب النبي؟ وأين عثرتم على مثل هذا الخيال المظلم؟! الرب أنثى وتسمى ليلى وتدور بالخمر لتسقي الرجال، تعالى اللّٰه عما يقولون علوًّا كبيرا. ياسبحان اللّٰه لقد كان من الفطنة أن يعدل في القسمة فلا ينزل باللّٰه حتى يجعله ليلى الجميلة فكان ينبغي عليه أن يتعقل في زيغه فيجعل نفسه بعيرًا أو حتى جعلًا ولكنه الخذلان. لقد أكثر عبد المحمود في ديوانه شرب الكأس من هذا الزيغ مما يدل على عميق إيمانه بهذا الهوس وكامل رضاه بهذا الاسم لربه، تعالى وتنزه عن عبس العابسين وإلحاد الملحدين ونحن نشهد اللّٰه أننا نكفر بكل ليلى في الوجود ونكفر بكل اسم اخترعه المتصوفة وأطلقوه على اللّٰه ونعتقد أن هذا مسلك الزنادقة الذين غلبت عليهم شهوة الزنا وحب النساء على ذلك نحيا وعليها نموت وعليها نبعث إن شاء اللّٰه.

* * *

(١) كل هذا الغزل في ديوان عبد المحمود كما في أزاهير الرياض ذكر العناق ولثم الثغر كقوله ص٦٥ :

وأفوز من ليلى بطيب وصالها في ليلة طابت بحسن عنـاق

وأبيت ألثم ثغرها وأشم من كل الجهات سئ الشذى العباق

الباب الثاني

محمد ﷺ عند السمانية

لــــه صفــــــات اللّـــــه

لــــه صـــــورة الــــرب

نقطة التقاء بين الألوهية والآدمية

مطلع على أحـوال العبـاد كلها

حيًّا يسيـر فـي أقـطـار الأرض

له صفات اللّه:

لن تسلم السمانية في تصور وقد فسدت في الوحدانية فها هي تهوي مختارة في تصورات الأمم الفاسدة وعقائد القرون الخربة فتخلط الألوهية بالنبوة فتقول[١]:

(اعلم أنه ﷺ الروح الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحادث فهو حقيقة لكل من الجهتين ذاتا وصفاتا لأنه مخلوق من نور الذات جامع لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثراتها حكمًا وعينًا ومن ثم قال اللّه تعالى في حقه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨، ٩] وإنما كان ﷺ برزخًا بين الحقيقة الحقية والخلقية لأنه حقيقة الحقائق جميعها ولهذا كان مقامه ليلة المعراج فوق العرش وقد علمت أن هذا العرش غاية المخلوقات فعند استوائه ﷺ فوق العرش كانت المخلوقات تحته بأسرها وربه فوقه فصار برزخًا بالمعنى لأنه موجود من الحق، والخلق موجودون منه فهو المتصف بكلا الوصفين ومن كلتا الجهتين صورة ومعنى، حكمًا وعينًا قال ﷺ: أنا من اللّه والمؤمنون مني، فإذا علمت ما ذكرته لكل سهل عليك استحضار هذا الكمال المحمدي إن شاء اللّه).

قلت: فهذا معتقدهم في محمد ﷺ وهذه هي الحقيقة المحمدية التي يرمزون لها دائمًا وهي عين ما تعتقده التجانية وقد تكلمنا على ذلك في ردنا على التجانية وإليك خلاصة ما في هذه الوساوس:

---

(١) شهد الإفادة/ ٧٤ وقد قلدهم التجانيون في هذا المعتقد فنقله صاحب الرماح بالحرف.

١- إن محمدًا ﷺ يتصف برب العالمين في أفعاله وتأثيره.

٢- أنه قد جمع بين صفات المخلوقات وصفات رب العالمين.

٣- أنه قد اتصف بصورة الرب جل وعلا وصورة الخلق.

٤- أنه نقطة التقاء بين الألوهية والآدمية.

ونحن نقول: أما إنه قد اتصف بكلا الوصفين فغير جائز عقلًا لأنه جمع بين نقيضين؛ فإن صفات الآدمية خلاف صفات رب العالمين بل هي نقيضتها فإذا قلنا مثلًا إن سنة الخلق تسلسلًا من الضعف إلى القوة ومن القوة إلى الضعف والانهيار جملة ثم الفناء نهائيًا، فإننا سنكون في عداد المجانين إن زعمنا أن صاحب هذه الصفات قد جمع صفة البقاء والحياة الدائمة والقوة اللامتناهية فإن هذا جمع بين ضدين.

وجمع ضدين معًا في حال أبعد ما يكون من المحال

فالزعم أن محمدًا ﷺ قد اتصف بكلا الوصفين مؤشر ظاهر إلى اختلال في التفكير وهو سقوط في هاوية الكفر بلا ريب وقوله: إن محمدًا قد اتصف برب العالمين في أفعاله وتأثيره غلط فاضح وانزلاق في مزالق النصارى، ومن سبقهم فقد قبلوا نفس هذا الزيغ وتدينوا به قرونًا طويلة حتى فضحهم الإسلام عند بزوق شمسه فهذا الذي تدعيه فرقة السمانية وتدين اللّه به هو على التحقيق تأليه لمحمد ﷺ ودعوى ربوبية لا يؤيدها كتاب منزل ولا رسول مرسل. كيف يقال إن محمدًا ﷺ يفعل نفس أفعال رب العالمين وكل من شهد شهادة التوحيد يعلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤] وأنه ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ [القصص: ٦٨] وأنه ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]

وأنه ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس:٨٣] ويعلم أن كافة أنبيائه و مرسليه وملائكته لا يشاركون ربهم في هذه الصفات. فالقرآن يشهد دائمًا بآدمية محمد المحضة كما دأب محمد ﷺ يفرق طول حياته بين الألوهية والآدمية لأصحابه وسائر أمته؛ لهذا فقد تبرأ من جملة من الخصائص التي لم تُعْطَ لبشر أو مخلوق آخر أبدًا كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء:٩٣] فأفهمت هذه الآيات أن اللَّه ليس له شريك في الخلق والفعل والإيجاد والتأثير وأفهمت أيضًا أن محمدًا ﷺ يبرئ نفسه من مثل هذه التُّرَّهات السمانية وفي موضع آخر قال اللَّه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ وهذا ما استقر في نفوس عامة المسلمين إلا ما أفسده تصوف أو غشيته جاهلية أو طالته زندقة أخرى وقد ركز مشايخ فرقة السمانية جهدهم على تكثيف تربية أتباعهم على هذا الفهم الكافر، بل كان شيخ الفرقة أحمد البشير يدعى هذه القوة لنفسه عندما زعم أنه قادر على الرجعة من التسعين إلى العشرين وتحويل مجرى نهر النيل بالكلية، بل إن في استطاعة تلاميذه خلق البشر وقلب الأنثى إلى ذكر؛ ولهذا هان عليهم ما بثه عن محمد وربوبيته فابتلعوها هنيئًا مريئًا وتهافتوا في مخازي المخزولين وكفريات الماضين وأما قوله إن محمدًا في صورة الآدميين..... إلخ فمثل الأول لا يجوز عقلًا ولم يرد نقلًا وقد يستقيم هذا الباطل في كل عقل مُلئ بطَلاسِم الحلول ووحدة الوجود ففسد، فقولهم هذا يصح جدًّا أن يكون ثمرة لتلك الأباطيل التي

غرسها أساطين التصوف الأولون كابن عربي والحلاج وأبي يزيد البسطامي فقد كان أحدهم يزعم أنه اللّٰه فكانت خطابته إلى مريديه تعنون هكذا من الرحمن الرحيم إلى فلان، وكان التلميذ يرسل فيقول: من فلان إلى اللّٰه الرحمن الرحيم، وكان بعضهم يقول صائحًا: سبحاني ما أعظم شاني.

فمن هنا صح عند المتصوفة الجمع بين الربوبية والعبودية[(١)].

فالعبد رب والرب عبد ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف[(٢)]

وقد انتشر مفهوم ما كتب قطب السمانية الآنف بين الزمر المعاصرة أو أكثرها فقد ظفر محمد عبدالكريم السمان بالشيخ أحمد التجاني في المدينة، وقد كان التجاني وقتها يبحث عن سلم الارتقاء الوهمي ليرتقي فنفث فيه السمان هذا السم الزعاف فصار عقيدة لفرقة التجانية كما في كتاب التجانية المشهور: (رياح حزب الرحيم) والسمان وأتباعه لا يختلفون أبدًا عن عقيدة النصارى في عيسى فها هو عبد المحمود يقول[(٣)]: (واعلم أن النبي ﷺ نائب عن الحق تعالى في مملكته فحيثما كان الرب إلها كان هو الخليفة في الأحكام وفي جميع المملكة يفعل كلما أراده لأن الحق تعالى قد ترك له كلمة التكوين: إذا قال النبي ﷺ كن كان من حينه وهذا من حيث بروزه بالصورة الإلهية المعبر عنها بالخلافة الكبرى، فلا يستعصي عليه شيء من الوجود وله أن يُعِزَّ

(١) راجع قصة الحلاج في البداية والنهاية لابن كثير م٦/ج١١/ ١٣٢ ففيها ما ذكرنا راجع مع ذلك ترجمة أبي يزيد البسطامي في الميزان والبداية.

(٢) الشعر لابن عربي الطائي كما في فتوحاته.

(٣) شهد الإفادة/ ٥٣ .

أو يُذل أو يرفع أو يخفض ولورثته الأقطاب من هذا نصيب، ولذا قال علي ابن أبي طالب كرم اللّه وجهه: أنا مبرق البروق ومرعد الرعود ومحرك الأفلاك ومدبرها يريد بذلك أنه خليفة اللّه في أرضه في جميع مملكته وقد أشار إلى ذلك أيضًا القطب الغوث عبدالقادر الجيلاني بقوله:

وأمري بأمر اللّه إن قلت كن يكن وكل بأمر اللّه فأحكم بقدرتي)

قلت: فالنبي ﷺ على قول هذا التائه الغالي - في دينه يفعل ما يشاء ويختار والنبي يخلق الخلق ويوجد الأشياء بقوله كن وهو يحيي ويميت ويعز ويذل ويرزق وينزل الغيث ويجدب على مخلوقاته إن أراد - وهو يدبر أمور سائر الأكوان، لأنه باختصار شديد شريك ربه في الخلق والأمر عند السمانية وشبيه القائم بأمر السموات والأرض، ومثيله في كل شيء حتى الصورة وبعد كل هذا الغلو المخرج لا ينسى خائن الأمانة والعابث بهذه الأمة والمتآمر عليها أن يزعم أن نصيب الأقطاب - وهو من أعظمهم من هذه القوى- وافر جدًا بدليل أن علي بن أبي طالب كان خالق البروق وصانع الرعود ومدبر أمر الأفلاك عندهم، وأن عبد القادر كان أيضًا قد أعطي المشاركة للّه في الخلق والأمر فكان إذا أراد شيئًا قال له كن فكان. وأقول مسترشدًا بكتاب اللّه وسنة رسول اللّه ﷺ كذبت وأوغلت في الكفر وانحرفت عن ملل الأنبياء قاطبة ولو رآك علي بن أبي طالب لاستأصل شأفة أقرانك كما فعل بأوائلكم وقادة فكركم وألقاهم في النار وهو يقول(١):

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت نارًا ودعوت قنبرًا

---

(١) قصة أمير المؤمنين مع الذين ألهوه مشهورة في كتب التاريخ فراجع ما شئت منها.

ومن معتقداتهم الفاسدة زعمهم أن :

محمدًا خليط :

وليس بشرًا صافيًا باتفاق السمانية غير أنهم يعتقدون أن هذه الخلطة قد تكون أحيانًا بين الآدمية والملائكة فها هو زعيمهم يقول[١]:

(ومن معانيه بشر من حيث طاقته للملائكة والأخذ عنهم إذ لو كان ﷺ بشرًا خالصًا لما أطاق الأخذ عن الملائكة ولو كان ملكًا خالصًا لما أطاق البشر الأخذ عنه فهو ﷺ جامع بين الحالتين).

قلت: صدق ربنا وهو أصدق القائلين عندما كشف لنا وهاء الإنسان وعجزه فقال غامزًا الفكر البشري المجرد: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

لقد ظل أحبار الفرقة يتخبطون عندما انحرفوا عن مفاهيم القرآن وانخرطوا في أودية العاطفة ومزالق التقليد الأعمى فصاروا في هبوط وارتفاع لا يستقرون أبدًا على عقيدة ولا يثبتون على فكر، وهذا حال من أسلم قياده لإبليس وجنده.

واللّه في القرآن الكريم يكذب هذه النفوس المظلمة عندما أمر رسوله المكرم أن يعلن على الملأ بشريته الخالصة وآدميته الصرفة فيقول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] فهو خالص

(١) شهد الإفادة/ ٦٨ .

البشرية لا يخالف ذرية آدم في هذا الوجه فمن زعم أن بشريته ﷺ نصفية أو ربعية أو أكثر أو أقل، فقد صادم صريح القرآن واهتدى بغير هداه وشاقق رسوله وسيوليه اللَّه ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا. قال سبحانه آمرًا رسوله بكشف أصرح وتصريح أوضح فقال: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

قال المضل عن محمد ﷺ أيضًا: (أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه وذلك لأن لحاسة بشريته تركد في النوم وقلبه ﷺ لا يزال مستغرقًا في مشاهدة الحضرة القدسية بمراقبة ما يبرز منها من الفيوضات والتجليات والأحوال والمعارك وتجليات الأسماء والصفات بملازمة ما يلزمه في مقابلتها من الأدب والتعظيم والإجلال ووظائف ما يستحقه من الخدمة والعبودية فهو على هذا المنوال دائب في يقظته لا يفتر عنه لحظة، ولا يشغله عنه شاغل حتى أقل لحظة وكما كان دائبًا في هذا على يقظته ونومه ﷺ فإنما حده وغايته وقوعه على حواسه البشرية ولا يتعداها نومه إلى قلبه حتى يغفل عن مطالعة الحضرة الإلهية كما هو حال البشر)[(١)] قلت: وإيراد الخبيث لهذه التنبيهات يريد بها إظهار التشابه بين محمد وربه كما هو ظاهر وما أورده هذا لا يتعدى الوساوس والزينة الشيطانية وهو استجراء شيطاني وفي حديث[(٢)] النبي ﷺ لمن اندفع في وصفة ووصف آبائه: «قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان». وفي حديث:[(٣)] «**إنما أنا عبد اللَّه فقولوا عبد اللَّه ورسوله**».

---

(١) شهد الإفادة/ ٦٨ .

(٢) حديث قولوا بقولكم.... رواه أبو داود والنسائي عن عبد اللَّه بن الشخير.

(٣) حديث إنما أنا عبد اللَّه.... رواه البخاري ومسلم عن عمر.

وقال مضيفًا[١]: (من معانيه بشرًا أن له عمرا قد انقضى بالموت لا كالبشر من حيث أنه حي في قبره مطلع على العالم بأسره ممد له بفيضه وسره سامع صلاة من صلى عليه تعرض أعمال أمته غدوًا وعشيًا).

أقول هذه مناسبة أوحت إلي بسؤال ذي فروع سأتوجه به لكل سماني قبل الرد على هذه الجملة المتهافتة ألا وهو: إن هذا المدد الخالد وهذه الأسرار هل صحيح أنها تتوجه رأسًا إلى زعيم فرقة التجانية المسمى أحمد محمد التجاني، ومنه تنتقل بعض جزئياتها إلى عبد الكريم السمان ثم تلميذه أحمد الطيب؟! أم أنكم معاشر السمانين لا تصدقون هذه المقولة التجانية؟! وفي حالة تصديقكم لدعوى التجاني هذه، هل نعرف من هذا أن ملازمة النبي ﷺ التي زعمها الطيب السناري والتي زعم أنها على مدار اليوم ما عدا في حالتي الغائط والنساء ليس فيها مدد؟ أم أن التجاني وصيًا على زمر التصوف؟ فلا يعطون مددًا إلا بواسطته؟ وفي حالة رفضكم لدعوى أحمد التجاني هذه هل ترون الدافع لها خيانة وكذبًا أم وهمًا وغلطًا من أحمد التحاني كوهم ابن عربي والمرغني في إدعاء الختمية الذي اكتشفه أحمد التجاني ودل عليه؟ وأنت تعلم أيها السماني أن شيخك الأول السمان قد ادعاها أيضًا فمن الختم المحمدي ومن الواهم؟ أطرح أسئلتي هذه كلها بصفتكم من دعاة المدد والفيض ووووو إلخ ولكننا أصلًا نرى كذب هذه الدعوى من أولها وبطلانها من أساسها.

أما قولكم تعرض عليه أعمال أمته غدوًا وعشية فهو مخالف جملة لقوله ﷺ في حديث الحوض وشفاعته لبعض أمته: «فأقول: أمتي فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ

(١) شهد الإفادة/ ٦٩ .

شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧] فتقول الملائكة: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.» فهذا الخبر يفضح كل من زعم أن رسول اللّه يطالع العالم بأسره أو يطالع أعمال أمته صباحًا ومساء وقول الملائكة أيضًا مخالف لقول السمانية، فإما أن يكون الملائكة صادقون وفي هذه الحالة يجب شرعًا وعقلًا إسقاط قولكم الفائت وإلزامكم بالتوبة والاستغفار من هذا الخبط الشنيع، وإما أن يكونوا غير ذلك وعند ذلك ننبهكم إلى مخلوق يطابق كلامه كلامهم لإقراره قولهم ألا وهو محمد المصطفى رسوله المبعوث بالغيب والشهادة فأضيفوه إليهم واحكموا عليه بحكمكم عليهم وانفضوا أيديكم من الإسلام، وكفانا سبئية عصرية ومحاربة خفية، وما أظنكم في حوجة إلى التنبيه إلى أنكم ستضيفون تهمة أخرى إلى تهم الملائكة المسجلة عندكم والتهمة الجديدة هي الكذب؛ وذلك لمخالفتها شيخكم وحذلقته جهارًا نهارًا وإلا فإن لكم مخرجًا آخر تفرون به ألا وهو ضرب الحديث بعرض الحائط واتهام صحابيه كما اتهم التجاني أم المؤمنين عائشة في حديث الرؤية وعندها سيكون لنا معكم كلام جديد.

أسأل اللّه أن يهدي من كان راغبًا في الحق منكم أما من كان متشبثًا معاندًا عاتيًا فسلط اللّه عليه من يفضحه كل حين آمين.

ولهم أيضًا عقيدة أخرى وباقعة كبرى ألا وهي أن محمدًا ﷺ هو المرسل جبريل إلى الأنبياء حقيقة فهم يقولون:

ما نزل به جبريل من محمد ﷺ(١):

(كل ما نزل به جبريل من السماء من الأنوار والرسالات والإمدادات

---

(١) ذكر ذلك كله صاحب النصرة/ ١٤٤ .

إنما هو من عند محمد ﷺ) هكذا اندفعوا في أوهامهم. يقول صاحب النصرة: (جميع ما حصل لسيدنا جبريل من الكمالات والدرجات والإمدادات فهو من نبينا ﷺ...) (ما خلق جبريل عليه السلام إلا لخدمة النبي ﷺ...) (إذا أراد اللّه مددًا لنبي أو فتحًا على يد جبريل فهو حقيقة من النبي...) (لا يستبعد هذا ولا ينكره إلا من لا علم له ولا فتح).

أقول: واللّه ما اختلفت الأمة في رفعة محمد ﷺ وتفضيله على البشر ومع هذا فما تكلف متكلف منهم فأثبت شيئًا مجازفة مما تهرف به هذه الطائفة غير أن هذا كله يهون إذا عرفت أن محمدًا ﷺ يخلق ويرزق في معتقدهم كما سبق، ولهذا فهم يعتقدون أن جبريل من مخلوقات محمد، أما زعمهم أن جبريل لم يخلق إلا لخدمة محمد ﷺ فلم يؤثر عن كتاب ولا ورد عن أصحاب النبي ﷺ ولا عن كبار العلماء ولا صغارهم منذ ذلك الزمان حتى ظهر الغلو، فهذا الذي قالوه زعم مجرد ودعوى لا أساس لها برزت إلى السطح مع غلبة العاطفة البلهاء، والتي غشيت جماعات التصوف وشيوخ تلك الجماعات فتوعدوا من لا يؤمن بهذا واتهموه بالجهل وعدم الفتح واللّه المستعان وأما قوله: أن جميع ما حصل لجبريل عليه السلام من الفتوح والإمدادات والدرجات والأنوار.... إلخ فهو من محمد ﷺ وما حصل كذلك لكافة الأولياء والمرسلين فإن هذا كله عائد إلى ذلك الغلو البالغ في تعظيم شخص النبي والذي وصل بلا مراء إلى حد التأليه وهذا عين انحراف أهل الكتابين، فإن تنطعهم هو الذي عتم عليهم الطريق وألقى بهم في هاوية الكفر؛ ولهذا كان محمد ﷺ يحذر أمته من المبالغة في تعظيم شخصه ويقول: «ألا هلك المتنطعون»[(١)] يعني المبالغين في الأمور، هذا وقد حذر القرآن

(١) حديث ألا هلك... رواه مسلم عن ابن مسعود.

أهل الكتاب وأنذرهم مغبة تلك العاطفة الهوجاء عند قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١].

وما يزيدني عجبًا زعم السمانية أن محمدًا هو الذي يمد أنبياء اللّٰه ورسله قاطبة وهونفسه ﷺ يؤكد عدم علمه برسالات بعض المرسلين وأسمائهم ووقائعهم قد دل على ذلك قوله: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] وكما في قوله أيضًا: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩﴾ [إبراهيم: ٩] فهذا الذي زعمته السمانية منافٍ لصريح القرآن وهو على التحقيق من ثمرات عمى البصيرة الذي اجتاح تلك الزمرة. أما البرهانية التي يتزعمها محمد عثمان عبده فقد كانت أكثر صراحة وأوضح في هذا الكفر فقد زعمت البرهانية[1]: أن النبي ﷺ سأل جبريل عن الموضع الذي يأتي منه بالوحي فرد جبريل أن الموضع بيت في السماء صفته كذا وموضعه كذا، فأمره رسول اللّٰه ﷺ أن يذهب إلى ذلك الموضع

---

(١) ورد هذا القول في تبرأة الذمة ص٥١ لمؤلفه محمد عثمان عبده البرهاني الهالك في حدود ١٩٧١م وقد انشق المذكور من الطريقة البرهانية الأم وأنشأ طريقة الخاصة والتي من عقائدها ما ذكرنا آنفًا.

ويتلو نسبه الشريف فذهب جبريل وقرأ نسب النبي أمام الباب فانفتح باب الحجرة الموصد، فرأى جبريل محمدًا جالسًا في الحجرة، فرجع جبريل إلى الأرض مسرعًا فوجد محمدًا في مجلسه الذي تركه فيه، ثم عاد مسرعًا إلى مكانه في العلو فقرأ النسب مرة أخرى فوجد محمدًا جالسًا، وأخيرًا سأل جبريل محمدًا قائلًا: إن كان الأمر منك وإليك فلمَ تتعبني؟! فقال محمد: للتشريع يا جبريل. هكذا أفصحت البرهانية.

وعن هذا الموضع تقهقر عبد المحمود والسمانية فأجملوا الأمر وقالوا: إن الأمر كله من محمد ،كما سبق، وهذا كله يثبت أن هذه الفرق بلاء على هذه الأمة بل إني أجزم أن السبب المباشر لنكبات المسلين اليوم إنما ينحصر في فشو هذه النحل الصوفية الزائغة، أسأل اللّه أن يكشف أمرها للناس ويعيد الأمة إلى دينها الصافي من كل لوث.

أخيرًا أنقل إليك هذه الباقعة لأختم بها هذا الفصل ألا وهي:

محمد ملء الكون:

والظاهر أنه يعني بهذه الجملة أن محمدًا كان في كل مكان و ملء كل فراغ وخليط كل دابة وجماد ولهذا فهو يقول نصًا: (ملء الكون بل عينه)[1] فهذا الكون بما فيه من جماد وحيوان وبحار ويهود ونصارى ونساء ورجال فهو محمد فكل هذه الأشياء تمثل أجزاء من محمد ولهذا قال عنه: (هو في كل ذرة من الذرات دقيقة منه) ولأن كل شيء في الكون جزء من محمد فهو إذًا نور لهذا قال عنه: (إنه نور وأنك منغمس فيه) وحتى لا تختلط عليك الأمور وتتبادر إلى ذهنك التساؤلات المنكرة عند السمانية فإنه يذكرك بأنك نفسك

(١) شهد الإفادة/ ١٠٩ .

جزء من هذا المحمد الذي يعتقدونه ولهذا يقول: (لاحظ أنك المصلي على نفسك فأنت خلقت منه فأنت جزء منه، وحتى لا تنسى فإنني أعيد إلى ذاكرتك كلام قطب السمانية المار في باب وحدة الوجود فقد زعموا هناك أن بعض العارفين السمانية أراه اللّٰه وحدة الوجود كشفًا وذلك عندما رأى السماء والأرض والمتاجر والنساء والأرض نورًا صرفًا، فالقضية راجعة إلى تلك العقيدة التي صرحوا بها كما قرأت فالكون ومحمد ورب العزة عندهم يمثلون وحدة ولهذه الوحدة أجزاء، وعندها كان زعيم البرهانية صريحًا في زيغه فقد قال: محمد هو اللّٰه واللّٰه هو محمد قال فهذا هو ذاك وذاك هو هذا بالحرف) وكان مخبولهم الأول البسطامي يقول: سبحاني ما أعظم شأني، ويقول: ما في الجبة إلا اللّٰه. تعالى اللّٰه عما يقولون علوًّا كبيرا، و قد فصلنا الحديث في هذه العقيدة آنفًا فلا نعيد القول فيها.

أخيرًا أرى من الأحسن نقل كلامهم بحروفه كاملًا فإليك هو: (لاحظ أنه ﷺ ملء الكون بل عينه وأنه نور محض وأنك منغمس في ذلك النور مع تغميض عين البصر لا البصيرة فإذا حصل لك الاستغراق في هذا النور والتلافي والغيبة، فتوصف حينئذ بمقام الفناء فيه ومن حصل له مقام الفناء فيه ذاق محبته، لاحظ أنه ﷺ هو المصلي لا أنت لأن جميع الأشياء خلقت من نوره وفي كل ذرة من الذرات دقيقة منه.) هكذا قال محمد عبد الكريم السماني عن النبي محمد وهو عين ما رددته ببغاوات النحلة ومن وتبعهم من العوام على ذلك، أفترى نكبة مثل هذه النكبة ودمارًا حل على المسلمين مثل هذا الدمار؟ لقد كان الحافظ أبو عمر بن الصلاح الفقيه الشافعي يقول[١]

---

(١) قول ابن الصلاح الفقيه المحدث راجعه في فتاوى شيخ الإسلام م٩، ص٧ .

عن بعض من أصيب ببعض الأهواء عنده وكان هذا الرجل معلمًا في بعض مدارس الفقه والحديث يقول: لنزع مدرسة كذا من هذا الفقيه أعظم أجرًا من نزع مدينة عكا من الصليبيين. ما هذا إلا لمعرفته بالضرر الذي يلحقه هذا الفقيه بطلبة العلم والدين من فساد فكري والذي أقوله أنا تبعًا لهذا الإمام لمطاردة هذا الغلو الصوفي اليوم وكشف خطره للناس والتحذير(١) من أهله أعظم أجرًا وأحسن عاقبة من إرجاع مائة مثل عكا والله الموعد وهو الحاكم بيننا ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

* * *

(١) إذا أن أكثر المثقفين قد أخذوه منهجًا بل زعم سادتنا وكبراؤناأن الدين الإسلامي ما هو إلا هذا وأن مشيخة الجيتارات والطبول هي التي أدخلت الدين الإسلامي في السودان، وهذا كذب فإن دين الإسلام قد أدخل إلى السودان في عهد الخليفة الرابع عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك في حوالي عام ٣٦هـ بينما دخلت أول طرق التصوف إلى السودان في حوالي القرن الحادي عشر كما في طبقات (ود ضيف الله) على هذا فينبغي حفظ عهد هذا الخليفة الراشد والتأدب معه. وأعتقد أنهم سيصيبون إن قالوا أن الصوفية هي التي أدخلت الألحان والطبول وعبادة الأولياء.

الباب الثالث

الملائكة عند السمانية

معاصي الملائكة

من أغلاط ملك الموت

إخافة السمانية للملائكة

مغالطات داخل القبور

معاصي الملائكة:

إن مما اتفقت عليه الأمة كلها أن الملائكة لا يرتكبون ذنبًا ولا يخطئون وهذا بعينه ما نطق به القرآن الكريم عندما قال عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] وقال منبهًا على استغراقهم في عبادة ربهم وعلى عدم طروء الغفلة عليهم والإرهاق: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠] هكذا شهد اللَّه وهذا ما استقر في نفوس المسلمين منذ فجر الإسلام، غير أن فرقة السمانية لها رأى آخر وعقيدة مغايرة لما ذكرنا، إذ أنهم يعتقدون أن عالم الملائكة عالم خطيئة وذنوب هذا أولا، والأمر الثاني أنهم يعتقدون أن مشيخة السمانية والصوفية عامة ملجأ للمسيئين من الملائكة وملاذ لهم في كربهم، وإليك دعواهم بحروفها فاقرأ بنفسك ما قاله عبد المحمود[1]: (وشفاعة الأولياء في بعض الأملاك لا إنكار فيها عند المحقيقين من أهل الكشف والعلم) ويعني عبد المحمود بأهل الكشف والعلم المتصوفة طبعًا لا فقهاء الأمة المتبوعين ولا محدثيها المعروفين، وهذا الذي قاله يوضح أن الشياطين تعبث بهذه الفرقة عبثًا بالغًا وبصورة شنيعة يدل على هذا بقية قول الشيخ عبد المحمود فتأمله: (ذكر سيدي الشعراني في الطبقات في ترجمة عبد الرحيم القناوي فقال: حكي أنه نزل من الجو يومًا في حلقة الشيخِ شيخٌ لا يدري الحاضرون ما هو، فأطرق الشيخ ساعة ثم ارتفع الشيخ إلى السماء فسألوه عنه، فقال: هذا ملك وقعت منه هفوة فسقط علينا فتشفع بنا فقبل اللَّه شفاعتنا فيه فارتفع.) هكذا نقل عبد المحمود

(١) قول عبد المحمود... النصرة العلمية/ ١٤٣ .

مصدقًا بل مبررًا هنا على صحة عقيدته بأقاصيص أقرانه، ولكن الشيخ لم يعرف قراءه نوع الجرم الذي ارتكبه الملك هل اغتاب أحدا أم أطلق كذبة في مجالس الملائكة، وأين هذه المجالس المنكرة أم أساء إلى بعض الملائكة أم أخر صلاة؟ أم تكاسل عن طاعة ما ؟؟؟ وددت أن هذا البوغ نقل إلينا بقية هذا الزور ليكشف لنا غرائبهم وأوهامهم والمزيد من غبائهم مع جهله. ثم قال أيضًا: (ومن كلام قطب الأقطاب وغوث الأغوات سيدي عبد القادر الجيلاني: الإنس لهم مشايخ والجن لهم مشايخ والملائكة لهم مشايخ وأنا شيخ الكل.) هذه الخرافات هي التي أسس عليها السمانية هذا المعتقد فهو بناء على شفا جرف هار، وكفى هذا الفكر برهانًا على زيغه مخالفته لما جاء عن كتاب ربنا وما بلغه رسولنا وكفى المرء خزلانًا وسقوطًا أن يتصور أمين وحي اللَّه جبريلَ مذنبًا وكفاه جرمًا أن يتخذ دينًا أبته كافة فرق الضلال كالمعتزلة والخوارج والقدرية وغيرها من فرق الشر والانحراف. ورحم اللَّه الإمام الشافعي عندما قال[١]: إياك واتخاذ قول ليس لك فيه إمام من الصحابة.

اللَّهم لا تخزنا يا أرحم الراحمين.

أوهام ملك الموت :

أخي المسلم أن يتسرع الطبيب فيغلط ويهم حتى يقتل مريضه فهذا شنيع ولكنه واقع حادث بين الخلق مألوف في الأزمان، أو يغلط المرشد فيفتي بباطل فهذا خطير ولكنه حاصل أو يرسم مهندس المعمار ويقدر تقديراته فيجانب الصواب ويخطئ التقدير والحساب فيهلك الأموال والأنفس فهذا

(١) قول الشافعي المذكور نسبه الجيزاني في كتابه قواعد معرفة البدع إلى كتاب: صون المنطق والكلام.

بلاء، ولكنه كثير ولكن أن ينزل ملك الموت فيقبض روح زيد وهمًا وغلطًا، فإن هذا لا يمكن استقراره في نفوس المؤمنين العالمين بدينهم وربهم، فإن ادعاه كبير من الكبراء أو سيد من الفقهاء فإن الزاعم في هذه الحالة إما أن يكون منافقًا يروم تشكيك الناس في دينهم ونزع ثقتهم في دقة هذا التصريف الرباني في ذلك الملكوت الواسع، وإما أن يكون في فهم الحمار والثور. وسأدع الحكم للقارئ الفطن على هذا المتجرئ ومن هو يا ترى ذلك المتجرئ؟ إنه حبر السمانية الأكبر الشيخ عبد المحمود فإليك ما كتبه[(١)]: (ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في ترجمة الشيخ محمد الزيني قال: لما ضعف ولده وأشرف على الموت حضر عزرائيل لقبض روحه فقال الشيخ للملك: ارجع إلى ربك فراجعه فإن الأمر قد نسخ، فرجع عزرائيل ولم يقبض...) فنقل ذلك بوغ السمانية الأعظم راضيًا به محتجًا به ولعمري لا يصدق هذه الداهية الدهياء إلا من جرد من العقل بالكلية وصار في درك تأباه ذوات الأربع.

والسؤال الموجه إلى هذا الغافل ومن هو على طريقته هل نزل هذا الملك بأمر اللَّه أم باختياره؟ فإن قلت نزل باختياره ضللت فإن عقيدة المسلمين المتوارثة هي أن نزول الملائكة لا يتم إلا بأمر اللَّه كما قال اللَّه على لسان جبريل: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] وكان سبب نزول هذه الآية كما جاء في الحديث[(٢)] ردًا على طلب النبي ﷺ أن يزوره دائمًا فنزلت الآية، وإن قلت أن ملك الموت نزل بأمر اللَّه فقد كفرت إذ أنك نسبت للَّه الوهم والذهول.

(١) أزاهير الرياض/١٥٦.

(٢) حديث طلب النبي من جبريل النزول... رواه البخاري عن ابن عباس.

والسؤال الثاني يوجه إلى كل سماني أيضًا وهو: هل كان الشيخ مطلعًا على ما يجري في الملأ الأعلى ولهذا كشف عن هذا الوهم، أم أن اللّه أرسل ملكًا ليدرك الأمر ويمنع عزرائيل من قتل ذلك المسكين؟ فإن قال: إن اللّه أنزل إليه ملكًا ليتدخل لإنقاذ ذلك العبد قيل له، وهل كان سيرفض أمر الملك المرسل إليه ولهذا أرسل إليك الملك أنت؟ أم لماذا أرسل اللّه إلى الشيخ؟ فإن قال إن الشيخ قد اطلع على نسخ الأمر وأسرع لإنقاذ الرجل قيل له لو كنت يا زرقاء اليمامة نائمًا أو مشغولًا بحظيتك رابحة ما الذي كان سيجري على هذا العبد المنكود الحظ؟؟؟

أخيرًا أقول للسمانية: هل يقع مثل هذا الوهم كثيرًا من ملك الموت أم قليلًا؟ وهل كان له في الماضين ضحايا؟ وهل يمكن حدوث مثل ذلك مستقبلًا؟

إخافة السمانية للملائكة:

ها هو عبد المحمود يندفع في أحموقاته ويسترسل في مهازله وخزعبلاته فيكشف لنا خبايا السمانية الباطلة وأفكارهم الهابطة فينقل خبيئة أخرى أشر ودسيسة أمرّ فقد قال[1]: (إن سرية الشيخ أحمد الطيب البشير التي أهداها إليه الشيخ ناصر ولد أبي لكيلك، لما توفيت ودفنت كان الشيخ جالسًا على شفير قبرها فلماحضر الملكان زعق بهم الشيخ زعقة عالية ثم قال: يأبى اللّه ورسوله أن يفتن أو يعذب جسمًا التصق بجسدي، فسئل عن ذلك فقال إن الملكين أرادا أن يفتناها فنحيتهما عنها...) وأقول: أما ما تدركه النساء من

(١) قصة طرد الملائكة من عشيقته رابحة رواها في كتابه أزاهير الرياض/ ٥٦ .

رفعة وفوز بسبب مضاجعة الشيخ وما يدركنه من فضل عند اللّه ورسوله بمفاخذة شيخهن فسنناقشه في موضعه ونبين أهو حق أم زندقة واستهتار بالملة والمسلمين، ولكنني هنا سأبحث في نوعية هذه الملائكة التي تروعها زعقة المعترض وتخيفها صيحة المتحدي الغاضب، وقبل ما أقول ما أود قوله: أقسم صادقًا إنني ما كنت أظن من قبل ذلك أن الشيخ المذكور قد انحط فكره وفسد خياله إلى هذا الدرك السحيق، وواللّه ما كنت أتصور أن أفهام بعض الخلق قد تتهاوي حتى تصل إلى قاع تترفع عنه الكلاب والقرود، والذي أقوله الآن عن هذا الرجل أنه أحد رجلين:

إما أن يكون ملبسا عليه قد خف عقله للغاية حتى تملكته الشياطين وسيطرت عليه حتى صار لا يسكن ولا يتحرك ولا يصمت ولا يقول إلا بإذن شيطانه، وإما أنه رجل كاهن دجال مفترٍ في الدرك الأسفل من الخيانة، وهذا أقرب. لقد زعم هذا الشيخ أن من ضاجعها من النساء قد أمنت فتنة القبر وعذاب الآخرة، فجعل من أسباب نجاة النساء من العذاب ودخولهن الجنة ليلة تبيتها الضحية في حضنه، مفارقًا بذلك للمرسلين ومغررًا بالجهلة المساكين فهذا القرآن يتحدث في شأن عبد لا يمتري في رفعته ولا يختلف في فضله وعظمته، ألا وهو نوح أول المرسلين ورأس المجاهدين قارنًا بينه وبين صفوة من صفواته وسيدًا من ساداته وواحدًا من جملة المرسلين وهو عبده لوط فقال سبحانه في محكم تنزيله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠] فهاتان المرأتان ضجيعتا رسولين كريمين وصالحين

كبيرين لم تسعدهما مضاجعة رفيقيهما مع عظمتهما المقطوع بها، فكيف أغنت مفاخذة هذا المسكين لهذه المخدوعة؟ لا تقل لي أيها السماني إنها مؤمنة، فالشيخ لم يعلل نجاتها إلا بمحاضنته لها، فكيف يقبل هذا من كان له دين أو عقل؟ لقد كان رسول الأمة أرحم من هذا الخب الضب فلماذا لا يبشر حليلاته اللواتي ذقن معه مرارة الدعوة وآلام الرسالة بمثل هذه الغرائب؟ الحق أقول: أن هذا عبث مكشوف ومهزلة مفضوحة ووثيقة شاهدة على خيانة الشيخ وفساد تبعيته البالغ، فهل من راجع إلى اللّٰه أيها المخدوعون؟

اللّٰهم إنا نشهدك أننا نعتقد أن هذا إفساد وتخريب للبلاد ومكر بالعباد.

مغالطات داخل القبور:

مازالت ترهات السمانية تتوارد وما زال عبد المحمود يفضح أمر الفرقة ويكشف جهالاتها ويؤكد ميلها الكامل عن جادة الطريق فمن منقولاته هذا الحوار الذي دار بين أحد أتباع الشيخ الصوفي المسمى باعلوي وملائكة القبر(١) :

- الملائكة: من ربك؟

- التلميذ: شيخي باعلوي.

- الملائكة يتعجبان ويعيدان سؤالهما: من ربك؟

- التلميذ مجيبًا: باعلوي.

---

(١) أزاهير الرياض/ ١٥٧ .

- الملائكة: مرحبًا بك وبشيخك باعلوي.

وهاهنا يضحك الشيخ أحمد الطيب الذي كان يراقب الحوار ثم ينقل المشهد كاملًا إلى أتباعه.

وأقول: هذه ملائكة القبر عند السمانية جَبَنًا من الزعيق واستجابة لأمر المعترضين وقبولًا لإجابات المرتابين المشركين فأقول جزمًا: إن هذه الملائكة التي أفاض عبد المحمود في وصفها - نقلًا عن مشيخته - ليس هي الملائكة التي أطالت آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ في وصفها ولكنها ملائكة أخرى تخيلتها السمانية، إنها المخلوقات المنطلقة من المراحيض والمبارك والتي تؤمن بها فرقة السمانية وتعرفها حق المعرفة دون خلق اللّه أجمعين، أما ملائكة اللّه المكرمين فها هم في كتابه الكريم وها هي شهادة اللّه سبحانه لهم:

تنفيذ الأوامر الربانية:

لقد شهد اللّه وهو خير الشاهدين بأن الملائكة لا يتوانون في تنفيذ أوامره وإطاعة أحكامه فيقول: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧] هكذا قال وهو أصدق القائلين فمن حكى عنهم ما يناقض ذلك وزعم أنهم يتقدمون ربهم بالآراء ويسبقونه باختياراتهم وظنونهم فقد صادم القرآن الكريم وخالف ربه العظيم، ومن زعم أن هناك مخلوقًا من الأمة يمنعهم من تطبيق أوامر خالقهم والسيطرة عليهم فقد أعظم فريته واستخرج زندقته وفارق دينه وملته.

نزولهم بأمر ربهم:

هكذا نص القرآن الكريم مبينًا سيطرته سبحانه على الملأ الأعلى ومبرئًا ملائكته مما يهرف به الجاهلون، فمن تقدم بين يدي هذا البيان اتهمناه في دينه ولزمنا نصحه وتحذيره بكل مستطاع كما وجب علينا كشف أمره للمسلمين ليحذروه ويعرفوا ضلاله وينبذوه جاء في محكم تنزيله: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر:٨] فمن زعم بعد ذلك أن ملكًا ينزل بالخطأ والسهو وما لا يراد من اللَّه فقد نعت ربه بالنقص وما قدره حق قدره، وهذا الذي وقعت فيه السمانية فأفسدت به البلاد والعباد وسنوالي مواجهتها غيرة على الملة ونصحًا للأمة حتى يكفر كل مسلم بهذا الفكر ويرجع إلى فهم القرآن ومعاني السنة أو يهلك من هلك على بينة.

لا وقت للمخالفة لا ميل للمعصية لا شعور بالملل:

هكذا شهد الخالق العالم بمخلوقاته: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] فمن بث في المسلمين نقيض هذا وتولى تربيتهم بخلاف هذا الحق فقد وجب على المسلمين محاربة فكره ومعاداته وتبين أمره وكشف عوراته؛ إذ أنه أحد رجلين: إما زنديق متستر أو غارق في ظلمات الجهل وكلا الرجلين بلاء على الإسلام والمسلمين قال المولى في كتابه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩] وهذه شهادة أهل الإيمان الحق لملائكة اللَّه وعقيدتهم التي

يعتقدون وهم يبرأون إلى ربهم من كل باحث لشبه إدانة العالم الطاهر المبرأ. وأهل الإيمان الحق أيضًا حربًا على كل من صدر منه ما يشبه الاستخفاف أو العداء استرشادًا بقول الله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

الملائكة لا يذنبون:

وهذه عقيدة أهل الإيمان التي تتطابقوا عليها وتوارثوها جيلًا بعد جيل فمن خالفهم خولف به ومن شذ عنهم شذ به في جهنم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥] لقد أرشد القرآن إلى طهر الملائكة وخلو عالمهم من المعصية فقال: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] فهاهنا شهادة جلية بأدائهم كل ما يجب عليهم وترك كل ما نُهوا عنه، فمن خصَّ ملكًا بالذنب والجريمة واستثناه من هذا العموم واعتقد فيه الكسل والتردد في أداء واجب ما فقد قال ما لم يشهد به مرسل، ولم ينزل به كتاب وكفى بذلك فسقًا عن منهج السماء.

ملك الموت لا يَهِمُ:

قال جل من قائل: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١]، وقال موثقًا لجنده منزها لهم عن ما يهرف به السمانيون فقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء:٢٧]، ودفع عنهم أيضًا عشوائية الأفعال فقال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا

بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤]، ولقد وددنا أن نعرف من هذا الأحمق الذي يزعم في الموضعين السابق ذكرهما منع الملائكة من أداء الواجب، ووددنا أن نعرف هل اكتشف أوهاما أخرى للملائكة وهل يوافق الشيعة عندما زعمت بعض فرقها أن جبريل أخطأ فأعطى محمدًا ما أرسل به إلى علي بن أبي طالب، ووددنا أن الشيخ طمأن سمانيته بتوكيله الخلفاء من بعده لمراقبة تصرفات هذا الملأ الهين عنده، فقد أثار زعرهم بهذه التربية.

اللَّهم إنا نشهدك أن كل ما زعمته السمانية في هذا الأمر هراء وترهات وشر وضلالات ونشهدك أنا نعتقد قولك الكريم: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ ونعتقد قولك: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ونعتقد قول رسولك الصادق[1]: «**إن روح القدس نفث في روعي، أنها لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ...**» وأن كل ما خالف هذا من أقاويل الخلق باطل يضرب به وجه صاحبه كائنًا من كان.

فاللَّهم ثبتنا على دينك ولا تردنا خفافًا تعبث بنا شياطين الإنس والجن يارب العالمين.

* * *

(١) حديث: إن روح القدس... رواه البزار عن حذيفة والحاكم عن أنس وهو حديث حسن.

الباب الرابع

إبليس عند السمانية (لعنة اللّه)

هـو المجتهـد المخطـئ

الـعـالـم المـؤدب

الباكي النادم على خطيئته

الـزاهـد المتـورع

جليس الصالحين الأخيار

مخلـوق من محمـد ﷺ

لما عصى إبليس ربه:

أما القرآن الكريم فناطق بأسباب معصية إبليس وأنها كانت الكبر والحسد وهاك النصوص القائلة بذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٢٨-٣٩] قلت: فهذه الآيات ترد بقوة على كل الهوس الذي سننقله لك بعد قليل وتأمل معي أيضًا قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وتأمل معي أيضًا قوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وتأمل معي أيضًا قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ

أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا
فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ
يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ
رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ
مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ
عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر:٢٦-٤٤].

وأقول: إن هذه الآيات القرآنية دالة ومخبرة بجلاء أن أصل جرم إبليس إنما كان كبرًا، ولم يكن على سبيل المجتهدين بل وطن نفسه على الإغواء واختار ذلك وظيفة يؤديها بل سأل اللّه أن يدفعة في هذا الطريق حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها، وهذا الذي يعلمه كل المسلمون ويعتقدونه غير أن فرقة السمانية شذت وأتت بآبدة من آوابد الدهور واخترعت قولًا ما شاركهم فيه إلا من كان من أتباعهم فقد برأت إبليسَ ورفعت من قدره وتأولت له خطأه وزعمت أنه ندم وزهد في الدنيا وتعلم بعد الجهل وإليك ما قاله صاحب قطوف أزهار السماني الطريقة(١):- «اعلم أنه لما قدر اللّه في أزله طرد إبليس من الحضرة القدسية قال له «لا تعبد غيري» كذا ذكره سيدي عبدالكريم الجيلي ذو الأنفاس المحمدية ثم لما خلق اللّه آدم عليه السلام أمر بالسجود له الملائكة الكرام فسجدوا جميعا إلا إبليس أبى لأنه شهد في هذا المقام الغيرية وقد أمر بعدم السجود للغير من الحضرة الغيبية فلما التبس عليه الأمر امتنع عن السجود فظهر السوء المقدر له في الأزل وهو طرده بسبب امتناعه من حضرة المعبود ولو علم أن من سجد بالأمر للّه فقد عبد اللّه

(١) قطوف أزهار / ٢١.

ولو فطن بأن آدم موجود بوجود اللّه لكونه كان أكثرهم طاعة للّه وأجل» قلت فهذه القطعة البلهاء تمثل تبريرا واضحا لإبليس في تلك الجريمة النكراء التي ارتكبها. وكفى المرء خزلانا أن يتكلف المبررات ويختلقها لإنصاف إبليس عليه وعلى من اعتذر له اللعنة من اللّه أبد الآباد. أما إبليس فلم يلتبس عليه الأمر كما زعم هذا السكران ولم يكن متطلبا في رفضه السجود إرضاء المعبود بل أرادها معصية سافرة لعجزه عن مقاومة خبثه وحسده وكبره وليس كما زعم ذلك المجرم أنه خاف أن يكون سجوده لآدم عبادة لغير اللّه لا وألف لا فإن ما ذكرناه من آيات القرآن آنفا تبطل لهذا التخريف البالغ وهو تخريف قلد فيه عبدالكريم الجيلي الكافر فإن لعبدالكريم هذا جهد شديد لتصويب ملل الزيغ لما في ذلك تبرئة إبليس عليه لعنة اللّه ثم يقول عالم السمانية[١]: «اعلم يا أخي إني رأيت إبليس هذا مرتين مرة حين كنت في أرض الهند والأخرى حين كنت بأرض الحرمين وقلت له في المرة الأولى بلغني عنك أنك كنت أعبد الخلق وأشدهم حبا للّه وما من موضع شبر في الأرض إلا ولك فيه سجدة للّه فكيف عصيت بعد ذلك مولاك واتبعت بمخالفتك الأمر هواك فقال لي ارتجالا في الجواب: ومن أكون أنا حتى أخالف رب الأرباب أثبت لي إن كنت رب علم وجود حتى أكون به خالفت المعبود فتعجبت من حسن جوابه وصوابه واستدللت به على سعة علمه وآدابه» قلت: فبعد أن برر معصيته وكفره طفق يؤكد سعة علمه وأدبه الجم وإصابته الحق في القول والفعل وهكذا يثبت إعجابه بهذا اللعين اتباعًا للجيلي وأضرابه من الصوفية كأحمد التجاني من المتأخرين. إن هذا الرجل

(١) نفس المصدر والصفحة.

يتكلم في مقدار صفحتين لدفع هذا التمرد الإبليسي ويرفع من أمره مما يدل على أنه ممكور به بصورة شاذة وما كتبه يؤكد صممه وعماه لكل من يقرأ قوله ثم قال أيضًا:

«وأما المرة الأخرى فإني رأيته جالسًا بين يدي أستاذنا حزينًا وعليه ثوب أسود قد صيره البعد للحزن رهينًا ورأيت الأستاذ واضعًا يده الشريفة على كتفيه يضربه بها ضربًا خفيفًا وهو واضع رأسه بين ركبتيه كحر استعبده الغير بعد أن كان شريفًا وسمعت الأستاذ يقول له: بم نلت ذلك فأجابه مزعنا بالصدود وأدمعه تجري بالخدود نلته بعدم السجود لمظهر السيد المالك» انتهى. وأقول: الظاهر من هذه القصة أن بين إبليس وشيخ السمانية وأساطين فرقته علاقةَ ود وإعجاب متبادل ومذاكرات فقهية وأن هنالك تزاورا بين الكيانين إلا أن الفرقة لا يمكن أن تفصح بذلك وقد يتضح أيضًا للقارئ أن إبليس قد تتلمذ على السمانية وسلك طريق السمانية وواضح جدًّا أن إبليس لعنه اللّه يتواضع جدًّا في مجلس السمانية وإن لم يقبل القارئ سلوك إبليس للطريقة السمانية فلا بد من الإقرار أن بين إبليس وطريقة السمانية تبادل خبرات ومعارف خاصة وقد يستشف الذكي من الحوار الأول أن إبليس على طريقة ابن عربي في عقيدة الوحدة المار ذكرها ومن القطعة يتضح أن ثمة إعجاب من السمانية بهذا المخلوق وإنصاف له ولهذا شهدت السمانية لإبليس بهذا الفضل وأن له مبررات في معصيته وأنه مجتهد معذور ومتأول مبرور وأنه واسع العلم رأسا في الذكاء وحسن الإجابة وسعة الأدب وأنه من الزهاد وما زال يبكي لزلته وقد تاب وأناب ورجع إلى ربه وأنه من مجالسي الصالحين وهذا الذي ذكرناه كله مأخوذ من القطعتين

السابقتين ولعلنا لا نكون مخطئين إن قلنا: إن إبليس أخ للسمانية بدأ من شيخها الأول بل هو سماني صرف فهنيئًا لهذا الرباط فقد وافق شن طبقه ونحمد اللَّه على السلامة.

خلقت الشياطين من محمد:

قلت لك آنفًا: إن إبليسَ من أصحاب المناقب عند فرقة السمانية ولهذا الفضل نشأ الإعجاب عندهم بهذا المخلوق وورثته وظهرت تلك العلاقة الوطيدة بين الاثنين فصارت شهادات الإقرار بالفضل تتوالى وطفقت الطريقة تبرز مفاخر الملعون عندهم وها هي تدلنا على فضيلة أخرى له لعنه اللَّه ولعن كل من مدحه وأقر له بفضيلة قال صاحب شهد الإفادة(١): «اعلم أن روحه ﷺ هو أول موجود أوجده اللَّه من حضرة الغيب ثم نسل اللَّه أرواح العالم من روحه وخلق من روحه الأجسام النورانية كالملائكة ومن ضاهاهم وأما الأجسام الكثيفة الظلمانية فإنها خلقت من النسبة الثانية من الروح فإن لروحه نسبتين أفاضتهما على الوجود كله فأما النسبة الأولى نسبة النور المحض ومنه خلقت الأرواح كلها والأجسام النورانية التي لا ظلمة فيها والنسبة الثانية من نسبة روحه نسبة الظلام ومن هذه النسبة الأجسام الظلمانية الشياطين وسائر الأجسام الكثيفة والجحيم ودركاتها... إلخ» قلت: اللَّهم إنا نستغفرك من هذا النقل ونشهدك أننا قد كفرنا بهذا الفهم. وهذا الموضع أحد فصول الذبذبة والاضطراب عند السمانية، وما يدل على أنها في تفريط شديد مثلما هي في إفراط أكيد مما يؤكد سيطرة

(١) شهد الإفادة / ٥٨.

الشيطان الكاملة على تلك الفرقة فها هو يطردها في كل فج حتى صيرهم أضحوكة الفرق ومهزلة في النحل. أما عن أولية روحه فمما هوتها نفوس التائهين من القدم وقد أيدها بما اختلقوا من الأخبار حتى صار دينا وتحقق به قول النبي ﷺ[١]: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعًا بذراع حتى ولو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه**» إذ إن النصارى كانوا قد ادعوا تلك الدعوة بعينها من قبل ففي إنجيل لوقا[٢] «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند اللَّه وكان الكلمة اللَّه هذا كان في البدء عند اللَّه كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان فيه وكانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور يضيء في الظلمة... الخ» فها هو الذي اختلقه زنادقة النصارى وهو نفس شنشنة المتصوفة ودندنتهم حول محمد ﷺ فتأمل قول ذلك الضال صاحب شهد الإفادة وطابقه بقول الزنادقة الأولين المقحم في الإنجيل يتبين لك وحدة التصور وتشابه المعتقد والذي ينبغي أن يتنبه له المسلمون أن أولية محمد ﷺ بهذه الصورة المبتدعة التي اعتقدتها فرقة السمانية ليس فيها منقبة ولا كرامة لمحمد ﷺ فإن أوليته المزعومة هذه قد شاركه فيها أحقر المخلوقات فأين دلالة العظمة في تلك العقيدة المبتدعة البلهاء؟ وأين المفخرة في شيء ينافس فيه الحمار والتيس وإبليس؟ الحق أقول: إنهم إن أرادوا تعظيم النبي ﷺ بذلك فقد جاءوا بنقيضه، وإن أرادوا خيانة فقد أفلحوا. فإن قلنا بالأول ورجحناه لوجب علينا أن نذكر الناس بحقيقة ثابتة ألا وهي أن عظمة النبي ﷺ ورفعته لا تطلب البتة إلا من النصوص الشرعية وكل ما

---

(١) حديث لتتبعن ...).

(٢) إنجيل لوقا أول إصحاحاته ويعنون بالكلمة المكررة عيسى ابن مريم.

جاء من غير النصوص أو أسس على غيرها لجاء مظلمًا ولو أن الناس تقبلوا النصوص القرآنية والسنية ورضوا بها حقائقَ وتركوها بلا إضافات واعتقدوها بلا زيادات لكفتهم في توضيح رفعة المرسلين ولكنها بلاهة أهل الجحيم تفسد عليهم كل رائع وتبدل لهم كل نعمة وأن ثقتهم في نسج الأرض وغزلها أكثر من أمر السماء هي التي توقعهم في بلايا الفكر المعقد عافانا اللّه وعصمنا من المهازل.

دعها سماوية إن كنت ذا حرص وانبذ هديت نسيج الأرض والفكر

إن محمدًا ﷺ عند المسلمين ليس أول مخلوق لخبره الصادق هو وتعليمه لأمته فعنه ﷺ:[١] «أول ما خلق اللّه القلم ثم قال له: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ...»وبعد خلق القلم وكتابة المقادير بدأت المخلوقات تبرز بقدرة الجبار وإرادته سبحانه وتعالى فخلق الماء والعرش فعن عمران رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ في رده على وفد بني تميم:[٢] «كان اللّه ولم يكن شيء وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض ...» المقرر عند علماء الأمة أيضًا أن رسولنا ﷺ خلق مما خلق منه البشر جميعًا ولم يخصص بخصوصية في الخلق فعنه ﷺ:[٣] «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق ابن آدم مما وصف لكم» يعني الماء والطين هذا وقد تسلسل البشر كلهم من أبيهم آدم

(١) أول ما خلق ... رواه أبو داود والترمذي عن عبادة وقال حسن صحيح.

(٢) كان اللّه ... رواه البخاري.

(٣) مضى تخريجه.

وتناسلوا كما أرشدت عشرات الآيات القرآنية كقوله عز من قائل: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة ٧-٩] فها هي الآيات مصرحة ببدء خلق الجنس الإنساني من عنصر الطين فمن زعم أن بعض البشر قد خرج من هذا العموم وأن هنالك أولية خفية في الخلق غير ما يوجد في القرآن والحديث فلم يصب وخرج عن صراط الإسلام المستقيم. وقد خاطب رب العزة أيضًا عباده قائلًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ [النساء: ٢] فأرجعنا كلنا إلى نفس آدم وليس إلى نفس محمد ﷺ فمن زعم أن اللَّه خلقنا من نفس محمد ﷺ فقد صادم محكم التنزيل وشاقق محمدًا والمؤمنين وكفى بذلك هلاكًا كما ذكر سبحانه ذات التنبيه في موضع آخر فقال: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم﴾ [الزمر: ٦] فنحن من نفس آدم التي خلق منها زوجها حواء لا غير ذلك وقال أيضًا مرجعنا إلى عنصرنا الذي خلق منه آدم لنطأطئ الرءوس وننظر إلى أصلنا تحت أقدامنا ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[طه: ٥٥] فمن ادعى أن اللَّه خلقنا من نور هو عبارة عن روح محمد وأنه سيعيدنا إلى تلك الروح ثم يخرجنا منها تارة أخرى فقد أتى بالخبل وتفوه بالهزل. وها هو ينبهنا أيضًا إلى عنصر الجن والشياطين الذي زعم هذا الخابط المجازف أنه من روح محمد ﷺ فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[الحجر: ٢٧] هذا ولم تكن روح محمد نارًا ولا سمومًا يومًا من الدهر ومن ادعى ذلك فقد

أبعد النجعة وفارق الأمة وكفاه غيًّا بذلك. وقال سبحانه أيضًا قارنًا بين الجنسين في توضيح عنصر الخلق: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤-١٥] وأوضح ﷺ الأمر في حديثه فقال: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» وقد أوضح هذا الخبر أن دعوى ذلك المخزول مبتوتة وبشرع الله مدفوعة ولا يميل إليها ويهواها إلا من أخذ بأخذ القرون عافانا الله وسلمنا ورد الأمة إلى دينها إنه سميع مجيب.

* * *

الباب الخامس

عالم الأولياء عند السمانية

يـوحـــى إلـيهـــم

يعلمون غيب السموات والأرض

يجيبـون دعـوة المضطريـن

يتشكلـون في صور الحيوانـات

يسفكـون دمـاء بعضهـم

يحسـدون بعضهـم بعضـا

يخـرجـون مـن قبورهـم

يتدينون بغير الكتـاب والسنـة

لهـم الخـلـق والتـكـويـن

علم الغيب :

الغيب : هو كل ما غاب عنك فلم تشهده وينقسم إلى قسمين رئيسيين هما :

١- الغيب الزماني.

٢- الغيب المكاني.

وينقسم الغيب الزماني إلى :

أ - ما انطوى من الزمان ولم تره.

ب - ما سيأتي من الزمان فلم تره.

ج - ما تعيشه من الزمان ولا تشهد بعضه.

وهو بهذا الشمول لا طاقة لمخلوق أن يحيط به ومن زعم هذا فلا ينبغي أن يمترى في كذبه فإن قوة الجهاز البشري وقدرته أضعف من أن تحيط بغيب شخص أو غيب حجرة مشهودة لا موصودة لا بل هو أضعف من ذلك فلا يقدر مخلوق أن يحيط بغيوب جلبابه الذي يرتديه. ولقد كرر القرآن الكريم التنبيه على علم اللّه الغيب لغرس الهيبة الإلهية في قلوب عباده ولفت نظر الناس إلى عظمة من اتصف بهذه الصفة العظيمة مثل ما في قوله : ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧] وآخر الآية تعميم بعد تخصيص وذلك لسعة ملك اللّه وكونه أكبر مما يرى الناس من سموات وأراضين وما يعلمون ما فيهما وكما

في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج: ٧٠] ومن ذلك ما قاله سبحانه منبهًا ملائكته على تلك الصفة العظيمة التي انفرد بها سبحانه: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[التوبة: ٧٨] وكقوله سبحانه: ﴿۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وكقوله جل وعلا: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ٨-١٠] وكقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[لقمان: ٣٤] وكقوله تبارك وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[غافر: ١٩] وكقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]

إن كتاب اللّه قد زخر بهذا النوع من القرآن وامتلأ يعرفه كل من لازم هذا الكتاب وأكثر التأمل فيه والظاهر أن الإكثار من هذا النوع هو للتنبيه على العظمة البالغة لهذه الصفة الإلهية وأنه المنفرد بها دون خلقه وإلا لو كان

خلقه يشاركونه فيها لما امتدح نفسه بها أو أكثر من لفت النظر إليها أو أثبت للملائكته قصورهم بفقدانها فمن وصف بها أحدًا غير اللَّه كائنًا من كان فقد خالف المسلمين وشاقق رسول رب العالمين ولا ريب في دخوله في تلك الضروب المذمومة في قوله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] وإني على يقين أن القرآن لو أسدل الستار على قضية علم الغيب اكتفاء بهذا القدر لكفى المؤمنين الموحدين بيانًا لإفراده بهذه الصفة ولو لم ينفها عن غيره ولكن مع ذلك ولإقامة الحجة البالغة أوضح الأمر وفصله فها هو يكثر من نفيها عن غيره من كافة مخلوقاته.

فعن رسله وأنبيائه يقول عن أول رسله نوح حاكيًا طرفًا من مخاطباته لأمته وأهل دعوته: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١] وعن محمد ﷺ خاتمهم وسيد ولد آدم أجمعين يذكر قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[الأنعام: ٥٠] وها هو موسى يرد على فرعون نافيًا علمه بغيب الأمم وحوادثها حيث يقول اللَّه: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١-٥٢] فنسب علم حوادثها إلى اللَّه متبرئًا من الحول بذلك والقوة وها هو رب العزة يأمر خاتم رسله وصفوة عباده قائلًا: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥] فما أسفه من نسب تلك الصفة إلى شخصه أو إلى أبيه وجده بعد هذا النفي المتوالي عن

أفاضل الرسل وصفواتهم بل ما أجرمه وأفسقه بل والله ما أكفر من يصف نفسه بما نفاه الله عن رسله وكافة مخلوقاته. وانظر إلى عيسى بن مريم كيف يتبرأ من علم غيب أمته: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧] وفي خبر المصطفى الصحيح: «فتقول الملائكة إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد» وعن خليل الرحمن يقص نفيه لعلم الغيب فيقول: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٦٩-٨٣] قلت فهذا القدر من القرآن يجرد اللّٰه بعض عظماء خلقه من صفة علم الغيب وينفي مشاركتهم له فيه وهما نبياه إبراهيم الخليل ولوط عليهما السلام فقد غابت عنهما حقيقة زوارهم فظنوهم بشرا وهم في الحقيقة ملائكة، وغابت عنهما أيضًا ساعة الدمار المحددة لأمة لوط فمن تدبر كتاب اللّٰه سلم من هؤلاء الدجاجلة وهانوا عنده جدًّا ومن جعل علمه شعرهم ودعاواهم لقي اللّٰه بلا دين وقابله بلا إسلام وهذا ما سقط فيه أتباع فرقة السمانية خاصة والمعجبون بشأنهم.

وأيضًا في قصة يعقوب أوضح بيان وأظهر برهان فقد غابت عن علمه مؤامرة أبنائه ضد يوسف فقد احتالوا عليه بالأكاذيب حتى قذفوا يوسف في أقاصي الأرض بعد أن ألقوه في غيابة الجب وألصقوا دمه بالذئب ثم توالت القصة الشيقة وتتابعت فصولها وفي كل فصل حكمة وتحت كل آية درس حتى اعتلاء يوسف لعرش مصر وقدوم إخوته عليه لأخذ الميرة حتى اجتماع شملهم فتأمل القصة بكاملها وتدبر منطق يعقوب في كل مواقفه يتضح لك أن السورة تمثل لك أكبر وثيقة لإدانة أدعياء المماثلة أو المداناة من كذابي المتصوفة من فرقة السمانية وغيرهم .

وفي قصة سليمان نبي اللّٰه كفاية لمن سلمه اللّٰه من الغواية فها هي القصة فتدبرها وتفكر في آياتها وتأملها: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى

ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: ٢٠-٢٨].

قلت ففي قول سليمان ما لي لا أرى الهدهد رد على ضربين من ضلال المتصوفة هما:

١- من يزعم أن أولياء اللّه ينظرون مشارق الأرض ومغاربها.

٢- ومن يزعم أن أولياء اللّه يعلمون الغيب في السموات والأرض.

وفي قول الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ رد على من زعم أن أولياء اللّه يعلمون الغيب أيضًا كما أن فيه دلالة على أن عالم الطير خلو من عقائد المتصوفة وكذلك كافة عوالم العجماوات ولا يفوتنك أن موضح الحجة هو إقرار سليمان لقول الهدهد ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ كما أنه تأكد من صحة قول الهدهد باستعمال الوسائل المتاحة وذلك ببعثه الهدهد بالخطاب إلى ملكة سبأ. وفي قصة موت سليمان أكبر داحض لدعوى علم الغيب إذ إن موته عليه السلام خفي على الإنس من أهل مملكته والجن الذين كانوا يعملون بحضرته فقد قال تعالى كاشفًا جهل

الجميع بالغيب: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[سبأ: ١٤] فها أنت ترى أن القرآن قد أفاض لدحض هذه المسخرة الصوفية وأطال في دحضها وإبطالها ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وكما حشدت السنة النبوية الصحيحة العشرات بل المئات من النصوص الداحضة لهذه الدعوة المتهافتة الباطلة كحوادث قصة الإفك وقصة نزول آيات التيمم وأحداث الخروج إلى بدر وما في قصة أحد والخندق وما لا يحصى من المناسبات وذلك غير الآثار المفصحة نصًّا ببطلان هذا المسلك الصوفي وفي هذا كفاية لمن وفقه الله وسلمه من السقوط. وإليك هذه القطعة الصغيرة التي كتبناها عن زيد منذ أن كان حملا.

ولنبدأ أمره منذ أن كان نطفة متى قذفت أفي صيف؟ ومتى كان ذلك؟ أم الشتاء وفي أي ساعاته؟ أم في الخريف؟ أفي لياليه أم أيامه؟ هل كان أمنية والده؟ أم هو نتاج شهوة مجردة؟ هل ذكر اسم الله فيه أم غفل عن ذلك؟ في أي منزل في الأرض كان الأمر؟ كم من الحيوانات انطلقت في هذه العملية؟ كم فسد فيها ومات؟ كم من الآلام سببها لأمه؟ في أي ساعة أرسل إليه الملك؟ في أي وقت وفي أي ساعة سيخرج؟ إلى أي جنس سيضاف إلى الذكور أم الأنوثة؟ كم يكتب له من السنين؟ من الشهور؟ من الأيام؟ ما لونه؟ ما طوله؟ ما قصره؟ وما سقمه؟ وما طول عمره؟ أفطن هو؟ أم غبي؟ أمشاكس أم هادي؟ أمستقيم أم منحرف؟ هواياته؟ ميوله؟ شذوذه؟ نبوغه؟ في أي قضايا الآخرة سيسقط؟ وفي أيها سيعلو؟ بما يختم له؟ أمغفور له أم معذب؟ أين يعيش في أرض الله في أي البلاد سيتقلب؟ على أي الأحوال سيكون؟ أيعيش راضيًا؟ أيكون ساخطًا؟ أيكون منعمًا في دنياه؟ أم يكون

معذبًا؟ ما مطعمه ومشربه؟ كيف مسكنه؟ كم ينام؟ كيف ينام؟ كيف يموت؟ متى سيموت؟ وكم وكم وكم إلى آلاف الكم وآلاف الكيف التي لا نعلمها والتي تؤكد أنها فوق طاقة البشر في العلم والأحوال والإحصاء فقبح اللَّه المجازفين السفهاء.

أما عن استمرار الوحي:

فقد أجمعت الأمة ما عدا فرقة السمانية ومن كان مثلهم من رعاع المتصوفة على انقطاع الوحي منذ انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقد خطب الفاروق عمر بن الخطاب فقال في حضرة المهاجرين والأنصار: «أيها الناس إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول اللَّه ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وليس لنا من سريرته شيء اللَّه يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن كان سريرته حسنة»[(١)] هكذا قال أمير المؤمنين رضي اللَّه عنه من زعم من خراصي زماننا أن الوحي مستمر رميناه بكل قبح واتهمناه بما يليق بحاله وبما يليق بما خالف السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وكان عندنا من الجهلاء الضالين والخونة الفاسقين وإن ضربت إليه أكباد الإبل وتبعه الآلاف من خلق اللَّه وفي صحيح مسلم عن زيارة الصديق والفاروق لأم أيمن ... فقالا لها: ما يبكيك أما تعلمين أنما عند اللَّه خير لرسول اللَّه ﷺ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند اللَّه خير لرسول اللَّه ﷺ؟ ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[(٢)].

---

(١) أثر الفاروق في الوحي .... رواه البخاري عن عبداللَّه بن عتبة.

(٢) زيارة الصديق والفاروق لأم أيمن ... رواها مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه.

فاستمرار الوحي عقيدة رديئة دخيلة على المسلمين تخالف منهج الصحابة الكرام وكافة علماء الأمة فالقائل بها أحل عرضه ودعا الناس إلى لطخه بكل غزر ومن تاب تاب اللَّه عليه إنه هو التواب الرحيم. أخي القارئ إذا علمت هذا فإليك هذه النماذج من شعر عبدالرحيم وقيع اللَّه الذي بثه في الأمة ودعا الناس إليه تعلم عمق الغيبوبة التي يعيشها ذلك الشيخ انظر إلى قصيدته «قوماك نزاور» وهو يعدد فيها أصناف الأولياء أو اختلاف مناقبهم فيقول:

منهم مرابط للَّه متواضع في الأرض هابط
منهم سجن نفسه بالحبل رابط حاسبها بالأنفاس بالذكر ضابط
منهم مساهر منهم يضحى قلب طاهر منهم خفي الحال منهم مجاهر
منهم عليم بالغيب باطن وظاهر

هكذا يخدم رجل الزريبة دين الإسلام وهكذا يخلف محمدًا في أمته ويتولاها بهذا الإرشاد المنحرف فليعلم الناس أن شيخ السمانية هو الأصل لكل هذه المعتقدات التي تشاهد في الأتباع. وانظر إليه كيف يدعي الوحي ومكالمة رب العالمين ويعلن استغناء الأولياء عن هذا الكم الهائل من الأخبار النبوية والسنن المصطفوية فيقول قبحه اللَّه:

سمعوا من المولى كلاما يا له — من حكمة نسجت بقول محكم
ورووا حديثًا صح عن مختارهم — من غير واسطة البخاري ومسلم
تاهوا على الأكوان فخرًا بالذي — نالوا وما تاهو بليل مظلم

إلى أن يقول[١]:

الخضر مع موسى الكليم قضية فيه الكفاية للفتى المستفهم
قتل الغلام وللسفينة خارق وبنى الجدار بغير أجر ففهم
فلم يستطع موسى الكليم لخضره صبرًا عليه فكيف بالمتعلم
علم الحقيقة من أباح بسره للغير أهدر ماله بعد الدم

وقوله هذا واضح المعنى بين المرمى فعنده أن اللَّه يخاطب الأولياء كما كان شأنه مع الخضر عليه السلام فهم يتلقون عنه مباشرة كما تلقى الخضر منه سبحانه ما خالف به شرع موسى ولهذا فقد يتلقى الصوفي من ربه ما يخالف به محمدًا ﷺ ولعلمه بنكارة ذلك عند المسلمين فهو يحذر من الجهر به وإلا استحل دمه وماله هذا معنى ما قاله هذا المخدوع والسمانية لهم وحي آخر غير الذي بأيدي المؤمنين الآن وهو عبارة عن أحاديث جديدة غير التي عند الأمة الآن وهذه الأحاديث يتلقونها عن اللَّه مباشرة. وهذه دعوى قديمة قدم التصوف فقد قال قديم من قدمائهم يستهزأ بأهل العلم ويستخف بمن يأخذ من هذه العلوم الموروثة يقول: أخذتم علمكم ميت عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي القيوم وهكذا تتوارث نحل التصوف هذا التمرد على الإسلام جيلًا بعد جيل انظر إلى ساكن الزريبة كرة أخرى وتأمله كيف يدعي الوحي لأوليائه[٢]:

أثني عليهم زور سوحهم كل يوم سلم عليهم
من كون رب الناس أنزل عليهم منه السكينة كمان أوحي إليهم

(١) كل هذا في ديوانه (رياض الجنة) قصيدة أهل الطريقة.

(٢) المرجع السابق.

فتأمل هذه الأباطيل التي يبثها وسط الناس لتعرف مدى شر هذا الرجل وخطره على الأمة. لقد وثق أتباعه بكافة أقواله واطمأنوا إلى كافة أحواله لاعتقادهم أن أمين الوحي كان ينزل عليه وعلى آله بالوحي ليلًا ونهارًا ولا يدرون أنه طامتهم الكبرى وبلوتهم العظمى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣] ودعوى الوحي ليست جديدة في أوساط السمانية ولم يبتدعها عبدالرحيم الزريبة إنما اتبع فيها مشيخته فانظر مثلًا إلى قول صاحب الأزاهير[١]: «إن الشيخ أحمد الطيب دخل خلوة مدة ثلاثة أيام فرأى جبريل عليه السلام وفي يده هذه الصيغة مكتوبة بقلم القدرة وبمداد النور الأبيض وذكر أن من دخل الخلوة وقرأها ... إلخ» وانظر إليه كيف يعبث برعاعه عندما قال[٢]: «سألت الله هل الأفضل المريد الصادق أن يتوسل إليك بصلاة الأسماء أم بدلائل الخيرات قال لي وعزتي وجلالي وارتفاعي في علوي أن من توسل إلي مرة واحدة بصلاة الأسماء أفضل ممن يتوسل إلي بسبعين مرة بدلائل الخيرات». استمع إليه كيف يقول أيضًا لرعاعه[٢]: سمعت هاتفًا من قبل الحق يقول لي لأقربنكما في الدينا والآخرة وكان معي الحاج أحمد البقاري. وللشيخ من هذا القبيل ما لا يحصى فهو الذي أسس هذا الضلال المبين وإن أردت المزيد من أكاذيب هذا العنيد فعليك بكتاب أزاهير عبد المحمود ولنرجع إلى صنم اليوم الماثل وإلى عرض ما يبثه من هذه الظلمات، فتأمل معي هذه الأبيات امتدح فيها والده وتأمل ما فيها من الغلو الفاحش:

---

(١) أزاهير الرياض/ ٢٢٠.

(٢) نفس المرجع.

بالأذكار قام الليل واقف   على الرجلين للرحمن شاهد
وأنفق ماله سرًا وليلًا   والنهار واللّه شاهد
وعلمه الكريم علم الحقيقة   وعلم الغيب مع علم المعاهد

فعلى هذا الفهم تربى كل أحباب البرعي والغارقين في هواه وكل مرتادي زريبته انظر إليه جيدًا كيف يجنح به الوسواس بعد ذلك ويقول عن والده:

يرى بالغيب ما يخفى علينا   ويسمع صيحة القاصي المكلم

وفيها[١] :

رئيس الكون شرقًا ثم غربًا   حكيم الطب للداء المؤلم
رقى بالسر في الملكوت أيضًا   وفي الجبروت لا تنكر وسلم

هكذا يقول واللّه يشهد إنه لكاذب فما كان والده رئيسًا للكون وما كان عالما ومشاهدا، والقرآن خير شاهد على كذبه ها هي مئات النصوص القرآنية والسنية تجأر في عنقه صارخة « اخسأ فلن تعدو قدرك » هذا وقد كان أجل أماني هذا التائه أن يكون من علماء الغيب والمطلعين على أسراره فها هو يدعو ويطلب ربه معتدًا في دعائه[٢].

بحرمة العتيق الحشوف   لذات نبيك بالعين أشوف
أورثني سر أهل الكشوف   وأتحفنا بالخيرات صفوف

ويعني بأهل الكشوف من كان مثل والده الذي يرى بالغيب ويسمع صيحة القاصي في أقطار الأرض كما مر. وهكذا تتواتر أشعار السمانية

(١) رياض الجنة قصيدة الشيخ المجاهد.
(٢) ديوان الدليل.

وتتعاضد لتشيد هذا البناء الماثل الذي لبنه الزور وملاطه الكذب بناء لا يستظل بظله من ينتصر به الإسلام وترتفع به راياته أبدًا. إن عبدالرحيم الزريبة يصنع جيلا لا يفرق بين الألوهية والآدمية فصفات الألوهية هي صفات أبيه وشيوخه وصفات شيوخه تطابق صفات الرب جل وعلا. يا ويلهم! بل يا ويلاتهم من هذه الدهماء التي أربكوا عقائدها وأفسدوها غاية الإفساد. انظر أزاهير الرياض كيف يصف عبد المحمود بعض تلاميذ السماني وينعته فيقول[١]: «القطب الرشيد والأستاذ المفيد عبدالرحمن الفادني كان أوحد تلامذة الشيخ فتحا وكان يتكلم مع اللّه تعالى ...» ومكالمة الحق يعني بها نوعا من الوحي وهو الذي شهر به موسى بن عمران عليه السلام ولا يعني أن هذا التلميذ كان يناجي ربه أو يثني عليه في الجهر أو السر، فإن هذين الأمرين مجمع على فعلهما فلا تجد مسلمًا إلا وهو آخذ بطرف من ذلك فهذا الذي تفخر به السمانية وتصف به أتباعها هو صورة ما كان لموسى الكليم من المكالمة المباشرة بينه وبين ربه تبارك وتعالى. وإليك بعض ما مدح به عبد المحمود جده أحمد الطيب شيخ الفرقة[٢].

أهي على درة البحر المحيط ومن ... أحاط بعلم وهو عرفان
من بعده من تعلم الغيب ينشره ... من بعده من له ذوق وإحسان

وشيخ الطريقة يزعم ذلك وها هو يدعي أن ثمة رسائل كتابية دارت بينه وبين الحق تعالى ففي الأزاهير[٣]: «سمعت الشيخ أحمد الطيب يقول طرحت علي صحيفة من قبل الحق سبحانه وتعالى مكتوب فيها بقلم القدرة

(١) أزاهير الرياض/ ٢٦٩.
(٢) أزاهير الرياض/ ٣٤٠.
(٣) أزاهير/ ٣٣٥ فصل البشائر.

سلام قولا من رب رحيم إلى عبدي أحمد الطيب قد غفرنا لك ... إلخ» وقد زعم في تلك القصة أن الموحى إليه أكثر من ذلك فراجع ذلك أيها القارئ والخلاصة أن الذي اطلعنا عليه من مؤلفات تلك الفرقة يؤكد أن دعوى الوحي وعلم الغيب أمر مجمع على اعتقاده عندهم فقصصهم تزعم أن مشايخ الفرقة لا تخفى عليهم خافيات الكون، فهم ينظرون ما يجري في البرزخ ويشاهدون أحوال المنعمين والمعذبين ويتابعون نزول الملائكة وقبض أرواح الخلق ويشاهدون مساءلات القبور وكافة أحوال السموات والأرض، وهذا ما تعتقده هذه الذيول المخدوعة فاللَّهم اهد المخدوعين وفك أسرهم من شراك المضلين، وردهم إليك ردًا جميلًا، وأنزل على عتاة الفرقة ما يستأصل خضراءهم من سوح المسلمين آمين.

إجابة دعوات المضطرين:

مما غرسته السمانية وعبدالرحيم الزريبة خاصة في نفوس أتباعهم أن يستغيثوا بهم عند الشدة وينادونهم من كل مكان عند الكربة وأفهموهم أن نداءاتهم كمناداة اللَّه والاستغاثة بهم استغاثة باللَّه فاندفع الأتباع في هذا الطريق وواصل إبليس دفعهم وعاضد شيخهم فأدخلهم في دروب الكفر حتى ساووا الولين في شرورهم وطابقوهم في مروقهم، وقد حدثني بعض أتباع ساكن الزريبة أنه استغاث يومًا باللَّه لإيقاف عربة مندفعة فمضت في سيرها ولم تقف وعندما استغاث بالبرعي أمسكها فتوقفت. وقد كنت حينها أبرئ مشيخة الفرق من هذا الزيغ وألقي اللائمة على الأتباع حتى جهر الشيخ البرعي بهذا التضليل وأسفر عن هذه العقيدة في دواوين شعره، ثم أمر جماعات السمانية فقامت بتلحين هذه الوثنيات وتزيينها بالآلات الموسيقية فكانت ظلامًا على ظلام وانتشرت في أوساط الجهلاء وراجت بين

عشاق الألحان، فزادت الناس سوءًا على سوئهم، وعندها اتضح لي أن خطب الأمة وانتكاستها من هذه المشيخة الضالة فهي التي ارتكبت هذه الجريمة النكراء في حق الأمة.

وإليك ما قاله شيخ الفرقة ومؤسسها[١] «من حصل به هم فليقل يا أحمد الطيب يا أحمد البدوي فلا يرى همًّا بعد هذا» فهذا قول كبيرهم الذي أرشدهم فأفسدهم وقادهم فأضلهم فمنه تنقل هذا الضلال ونقول لهذا الأحمق ومن تبعه: ومن حصل به هم وقال اللّهم ألا يذهب اللّه همه؟ فإن قال: نعم، قلنا: فلماذا عدلت عن الحي القيوم إلى شخصك الآدمي الضعيف فإن قال إن الأمر سيان قلنا فأنت طاغوت كبير وشيطان خطير فإن من ساوي بين شخصه وربه فهو من أكابر المتمردين وعتاة الكافرين. قلنا حسنا فإن سلمنا بقولك جدلًا فلماذا لا تدع العبد ليدعو مولاه ما دمت تعتقد أن الأمر واحد؟ وتقر أن اللّه يمكن أن يزيل همه مثلك. أقول: بل الحق أن هذا الأحمق ومن ورث ضلاله هذا ودعا الخلق للتشبث بشخصه يعتقدون أن التوجه بالدعاء إلى شخوصهم البشرية أرجى من التوجه إلى اللّه ولي العباد الحق وإلا فلم نازعوه في عباده؟ اللّهم إنا نشهدك أنك وحدك الذي تجيب دعوة المضطرين وتكشف كرب المكروبين لا يشاركك في ذلك ملك ولا نبي ولا ولي ولا إنس ولا جن بل أنت وحدك المدبر لأمور عبادك والمصرف لشئون أكوانك، لا إله إلا أنت.

أيها السمان في كل مكان سأتوجه إليك ببعض الأسئلة راجيًا منك الأناة مع إعمال فكرك ثم رد علي بعد ذلك بما ترى أنه يرضي خالقك. لقد قال

---

(١) أزاهير الرياض/ ١٥٥.

ربنا وربكم في محكم تنزيله مناديًا جميع خلقه بما فيهم السمانية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] هكذا أمرنا اللّه فلماذا نافسته قادتكم في عباده ونازعته في خلقه؟ لماذا يأخذون قلوب عباده إليهم ويصرفون وجوه خلقه نحوهم؟ ألم يكن رسول اللّه ﷺ أولى بذلك منهم؟ لماذا أكد على أمر اللّه الفائت ووجه الأمة صوب ربها[١] «يا غلام إني أعلمك كلمات فاحفظهن يحفظك اللّه احفظ اللّه يحفظك احفظ اللّه تجده تجاهك إذا سألت فاسأل اللّه وإذا استعنت فاستعن باللّه ...» أيظنون أنهم شركاء اللّه في خلقه؟ أم ماذا أيها التابع المنقاد مقفل أذنيه، السائر مغمض عينيه ماذا ينقمون عليه سبحانه المنعم بلا حصر؟ لقد كان هناك ألف زاجر عن هذا النداء الأرعن من ذلك على سبيل المثال الحياء منه أفلا يستحون منه تبارك وتعالى ذرة؟ نعم لو كان في نفوسهم حياء لتأخروا من هذه الدعوى الفاجرة هذا لو كانوا آلهة قادرين على المنع والعطاء ولكن هل هم قادرون على العطاء والمنع والإشقاء؟ أين هم أيها السماني المخدوع من قدر الذي أمره اللّه أن يعلن عبوديته وفقره وهو صفوة البشر وسيد ولد آدم ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ يعني لا ينفع نفسه التي بين جنبيه بمشيئته وإرادته وإنما الأمر كله للّه، ثم إن اللّه يأمره أن يجرد نفسه من المشيئة الفاعلة ويظهر عجزه من نفع ما هو أولى من المخلوقين وها هم شيوخك يعاكسونه في التوجه والمسلك فيعلنون للعباد أنهم نافعوهم ومسعدوهم ويوهمونهم أن هذه المشاكسة وحيا آخر غير الذي جاء به محمد ﷺ« سمعوا من المولى كلامًا يا له من غير واسطة البخاري ومسلم » إن محمدًا في واد وهؤلاء الطغاة في واد آخر أفلا تبصر؟

(١) حديث ابن عباس رواه الترمذي راجع لذلك شرحه وتخريجه في جامع العلوم والحكم.

أتدري أيها السماني تمام الآية السابقة لا تقل لي إنني أقرأ القرآن أنا أدري أنك تفعل، ولكنني أعلم أنك منعت من تدبر القرآن وشغلتك مشيختك بقصائد المديح المضل وصرت كمن زاغ من الماضين على حفظ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾[الجمعة: ٥] وفي الحديث الشريف: «التحذير من مشابهة الماضين في حمل العلم وعدم الفقه دلالة على عظم الجرم الذي تساقطتم فيه. إن الآية السابقة منبهًا عظيمًا على منع مساواة الآدمية مع الألوهية وإن كانت قمة في الخير». إن الآية منبه عظيم على فقر الآدمية البالغ، وأنها لا تكتسب صفة من صفات البارئ، وإن بلغت من منازل الرفعة أعلاها وتمام الآية ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. أيها السماني ها هم قادتكم يخالفون إرشاد هذه الآية فيا أيها النائمون استيقظوا ... أيها المغمضون أبصروا أيها المتعالون تواضعوا؛ لقد قال اللّه لعباده ادعوني استجب لكم وقلتم للعباد: ادعونا نستجب لكم، وقال سبحانه لعباده: اذكروني أذكركم وقلت لرعاعكم: إياكم ونسياننا، قال اللّه لعباده: اعبدوا ربكم وقلتم لهم: إن وقوفكم أمامنا بذلة وسعيكم المتواصل في حوائجنا أحسن من الوقوف أمام اللّه في صلاة نفل أو صيام نفل وقلتم إن تنفيذ أوامرنا أوجب عليكم من إجابة النداء في المساجد، ما لكم أيها العباد وما الذي دهاكم؟ أيها المنقادون لهؤلاء الطغاة التابعون لهذه الزمر اعلموا أنكم لن تقدروا اللّه حق قدره ولن تعرفوا عظمة الرسالة وواجبكم تجاهها ما دمتم تسيرون خلف هذه المشيخة الخائنة المؤثرة لدنياها لقد أشربتم حبها واعتقدتم عظمتها المتناهية فصدقتم كل دعاواها وخالفتم بها القرآن والسنة فتوبوا إلى بارئكم من قبل أن يأتيكم الموت ثم لا تنصرون.

انظروا إلى شيخ النحلة في بعض دعاواه(١) .

الوقت وقتي وما في الكون أجمعه في قبضتي فهو من جندي ومن حشدي
فانهض إلي ونادي إن ترم فرجًا من نكبة أو رماك الدهر بالشدد
يا كهف كل الورى في كل نائبة هو الغوث يا سمان يا سندي
أغثني تجدني مغيثًا في الأنام لمن في الورى لاذ من هم ومن نكد

قلت فتأمل قوله إنه يعلن الاستيلاء أولًا على كل الكون ويخبر أن ذلك كله في قبضته، ثم ينادي بعد هذا التعريف بمقامه الوهمي سائر المكروبين وكافة المنكوبين وأهل الشدة والضرر ويؤكد لهم أنه مفرج الهموم وكاشف الغموم، ثم هو مع هذه الدعوى المقيتة ينادي شيخه الذي بوأه هذا المكان والذي مكنه ليغيث كل المخلوقات أيضًا أن يمده بالقوة اللازمة حتى يغيث عباد اللّه! يا سبحان اللّه لقد كان الرجل يعتقد أنه مغيث العباد، وأن هناك قوة تمكنه من ذلك وتمده من عندها هذه الجهة الممكنة والقوة الممدة هي « شيخه السمان » لأن السمان هو مغيث الكون أصلًا فانظر إلى هذا العماء البالغ والتمرد المكشوف وقارنه بما طرح في سورة النمل في تلك الأسئلة المتحدية الماضية إلى يوم القيامة والتي تنشرح لمرماها صدور المؤمنين وتنفر منها قلوب الطغاة المتكبرين وهي النجاة لمن رام النجاة إلى يوم الدين فتدبرها ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ

(١) من شعر أحمد الطيب. راجع أزاهير الرياض/ ٦٣-٦٤.

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٥٩-٦٥] هذه أسئلة التحدي المطروحة لهؤلاء الطغاة وأمثالهم إلى يوم القيامة ونحن نقول لربنا جل وعلا: أنت يا ربنا الفاعل لكل ذلك ونحن نكفر بكل من يزعم أن له نسبة شراكة معك، ولو كانت في ذرة ونعتقد ضلاله بل خروجه عن الملة جهارًا نهارًا ونعتقد أنك وحدك تجيب كل مضطر دعاك وتكشف سوء أهل البلوى وحدك إلى يوم القيامة وأنت المالك لخزائن كل شيء لا ينوبك مخلوق من الجن والإنس والملائكة وغيرهم ونقر لك بفقرنا وعجزنا ونؤمن بقولك: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾[الإسراء: ١٠٠] فمن خالفنا وزعم غير ذلك فنحن بريئون منه محاربون له ندين لك ببغضه ونستمطر رحمتك بفضحه وكشف زندقته للخلق.

لقد زعمت السمانية أن كل ولي مشارك في العطاء والإغاثة ولهذا تنشر هذه الدعوى للإيقاع بالبسطاء لينعموا باستعباده ويأكلوا بهم هذه الفانية الزائفة وقد نقلوا عن عبدالقادر نفس هذا الزعم فرووا عنه قوله[(١)]:

أنا لمريدي جامع لشتاته ... وأخرجه من كل شر وفتنة
تمسك بنا في كل هول وشدة ... أغثك في الشدات طرا أبهمتي
مريدي إذا ما كان شرقًا ومغربًا ... أغثه إذا ما صار في أي بلدة

(١) قوله: (أنا لمريدي ...) أزاهير/ ١٢٧.

وهذا هراء وباطل وانظر إلى ساكن الزريبة كيف يربي أتباعه:

دعني أصاحب سادتي أماشي دوما على رغم الحسود الواشي
وأزورهم في كل حين طالبًا بركاتهم وأنا لديهم خاشي
ما مسني سوء وجئت ركابهم إلا وعني ذاهب متلاشي
هم عدتي عند الشدائد كلها هم ملجئى في كل خطب فاش
هم موئلي عند الكروب ونصرتي هم مورد يروي لكل عطاش

إن ساكن الزريبة يروم بمثل هذه الأشعار غرض التعلق به والتمكين لشخصه في البلاد. إنه يرشدهم إيعازا أن يأتونه حيًا كان أو ميتًا وهم بهذه النوايا وأن يعتقدوا أن زيارته مع آبائه وشد الرحال إليهم أمر يعود عليهم بخيري الدنيا والآخرة وأنها أمان من كل سوء وفرج من كل شدة؛ لأنه ركنهم الركين وحصنهم الحصين. يا ويل هذا الرجل ما كان أربحه لو دام يدعو إلى الله لا إلى نفسه وأجداده لكنه يدعو إلى نفسه وأشباهه ففارق بذلك المرسلين فليس على سبيلهم وها هو القرآن شاهد على ذلك فقد بين منهج الأنبياء في قوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨] وتأمل نفس الرجل في قصيدة أخرى وانظره كيف يضل عن سواء السبيل وهو يصف الأولياء بما لا يليق(١).

في أنا الليل دائما صاحين ينقذ الدركان يلفوا للصائحين

---

(١) المختار للبرعي.

إنه يطمئن مغفليه ويزعم لهم أن الأولياء لا ينامون بل يبيتون أيقاظًا لإنقاذ كل عبد من عبيدهم قد وقع في ورطة ويجيب دعوة كل من ناداه فتأمل في هذه الدعوات، وانظر إلى هذا المسكين كيف ينحت أصنامًا ويصنع أوثانًا ليضل شباب الأمة وشيبها. والسمانية عامة تعتقد أن كل ولاية تعني مشاركة اللَّه في إجابة دعوات المضطرين وها هو عبد المحمود يقول ذلك ويدعو إلى سمانيته وسوء عقيدته:

هلموا إلى هذا الطريق فإنه ... موارد شيخ ثم كهل وشارخ
وصاحبه حقا ولو عند موته ... يكون ولياء عائثًا كل صارخ
ولا خوف في الدنيا عليه ولا غدا ... ولا في القبور الدارسات البرازخ
وما قلت هذا القول عني وإنما ... رويناه عن قوم جبال شوامخ

لهذا فلا نكون متجنين على تلك النحلة إن قلنا إن كل من دخل السمانية إنما دخلها ليعاون أو يشارك أو ينافس ربه في إجابة دعوات المستغيثين فانظر إلى هذه الزمرة المخدوعة المضللة منذ البدء فها هو عبد المحمود يؤكد أن هذا الزعم ليس من عنده وإنما تعلمه من والده وشيخه الطيب البشير والشيخ الأكبر السمان وهم الجبال النواصح عندهم وما ذلك إلا لجهله. ولنرجع مرة أخرى إلى ساكن الزريبة كيف يوصي عبيده ويرشدهم إلى ما ينفعهم مع شخصه وأشباهه من مشايخ السمانية فهو يقول[1]:

كـن ثـابـت عـنـده ... لا تـضـحـك عـنـده
في كـربـك أنـده ... بـتـغـيـثـك جـنـده
سيب غـيرو وليه روح ... قـبـال تـفـنـى وتـروح

(١) ديوان رياض الجنة.

فهنا يوصي كل سماني أن يتوجه إلى شخصه وأضرابه من السمانية بالتضرع والابتهال ويخبرهم أن لهذه المشيخة جنود خفية هي التي تغيثك، ثم ينبه سمانيته ألا يلتفتوا إلى غير شيخهم فإن في ذلك الضياع، هذا معنى كلامه وهو ظاهر لا يخفى لكنه ما أخبرنا بهذه الجنود الخفية أهي ملائكة تنتشر لإدراك كل من لجأ إليهم وإغاثة كل من استغاث بهم أم أن هذه الجنود من ذلك الفيلق الضخم الذي أهداه أحمد الطيب إلى بعض تلاميذه والذي قدر عدده بألفين وخمسمائة شيطان لخدمته كما سيأتي؟ وددنا أن ساكن الزريبة أوضح لنا نوعية جنوده التي تغيث له عبيده الذين يدعونه من دون اللَّه.

أخي القارئ المسلم إنني لا أستغرب كثيرًا في دعاوى الزنادقة والذين يجازفون ليأكلوا من هذه الفانية ولكنني أستغرب لمن يقرأ كتاب اللَّه أو يسمعه من قارئيه كيف يصدق هذه الترّهات أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها لقد قال اللَّه منبهًا على هذا الغباء متفهًا من عقول أهله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤] فوصف سبحانه كل من دعا دون اللَّه وطمع في استجابته بالعجز الكلي إذ أنه أخبر أن كل ما دعي من دون اللَّه لو تعاضدوا لخلق أحقر مخلوقاته سبحانه وأضعفها وهو الذباب لما استطاعوا أن يخلقوا واحدة ولباءوا بالفشل، ثم يظهرهم على حقيقتهم المجهولة عند المتضرعين إليهم والراغبين فيما عندهم من الخزائن فينبه إلى أن هذا المخلوق الضعيف لو سلبهم أمرًا وأدخله في بطنه لما استطاعوا أن يستخلصوه منه وهذه نهاية العجز والمطلوب من هذا الأسلوب القرآني التنفير الشديد من دعاء غير اللَّه وأنه لا طائل من ورائه إذ أنه

لا يسترجع ضائعًا ولا يقهر ضعيفًا ولا يرزق مريده بل ولا نفسه ما لم يرزقه اللَّه فما أضل من فعل هذا الفعل. وتدبر قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥] فما أوضح هذا البيان الرباني وما أظهر معناه إنه يجعل من دعا غير ربه والتجأ عند الكرب إلى غيره رأسا في الغباء والغفلة ويخبر بكفر المدعوين بمن تعلق بهم في الحياة الدنيا ودعاهم في رغبته ورهبته وأنهم سينقلبون على من دعاهم أعداء فما أعجب هذا الإصرار من قادة السمانية على صرف العباد من ربهم وخالقهم وزعمهم كذبًا أنهم يجيبون دعاء من دعاهم ويعطونهم رغباتهم. أهو العمى المتناهي والغباء البالغ أم التمرد السافر على رب العالمين وأحكم الحاكمين؟ انظر إلى عالم السمانية الأكبر عبد المحمود نور الدائم كيف يغرر بالمساكين ويحسن لهم الاعتصام بجده أحمد الطيب ويمنيهم أماني الزيف بمثل هذه القصة أقرأها[1] «حصل بنا عطش شديد عند مجيئنا من دارفور حتى أشرفنا نحن ومن معنا على الهلاك فاستغثنا بسيدي الشيخ أحمد الطيب فأخذتني سنة من النوم فرأيت الشيخ وفي يده إناء مملوءًا ماء فناولني إياه فشربت حتى رويت، وكنت قد رأيت في الإناء نجيلًا فلما استيقظت وجدت نفسي ريان وفي فمي بعض النجيل، ثم بدت لنا سحابة وكان الوقت صيفًا فأرسلت ماء كثيرًا فملانا ما عندنا من الأواني وتوجهنا فلما وصلنا زرنا الشيخ فأخبرنا بما وقع لنا من ذلك كله مكاشفة» وقد حكى هذا التائه كثيرًا من هذا القصص الشيطاني يؤكد بذلك قوة جده وإغاثته للعباد ولو كانوا في أقاصي الأرض وهذا المستوى هو الذي سيصل إليه كل سماني حسب ما ذكر

(١) قصة العطش المذكورة في أزاهير الرياض/ ١٦٩.

عبد المحمود قبل عدة صفحات فما أضل هذه النحلة وما أضرها على العباد لقد ألقت في هذا المهوى آلاف الجهلاء والآلاف من أرباع المتعلمين خاصة بعد هروب شيخ الطريقة الختمية(١) وانضمامه إلى مقاتلي جون قرن الذين يشنون حربًا ضروسًا من أجل استئصال الإسلام والمسلمين من السودان لقد انخرط أكثر أهل الطريقة الختمية وساروا في ركب السمانية خلف البرعي وعكفوا على عبادته عوضًا عن ذلك الصنم الهارب. عجبت لهذه الجحافل المخدوعة وكتاب اللَّه بينهم كيف ينقادون لهذه الأباطيل ألا يتصفحونه أحيانًا أفلا ينظرونه أوقاتًا وهذه آياته نورًا كاشفًا لكل متآمر؟ أم أنهم لا يتدبرون ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [يونس: ١٠٧] إنه سبحانه يقول: أنا وحدي وهم يقولون: نحن معه فما أجرأهم على النار إنهم يمارسون قطع حبال الصلة الممدودة بين اللَّه وخلقه إنهم يخربون ما بين الخالق وعبيده إنهم باختصار بالغ يدعون إلى عبادة شيوخهم بدلا عن اللَّه.

وفي الحديث النبوي «الدعاء هو العبادة»(٢) وذلك أن للداعي ثقة في رحمة المدعو وثقة في قدرته على العطاء وثقة في سمعه ضراعة المتضرعين وطلبات السائلين، وهذه التي ذكرناها أحسن أحوال العباد وأجمل عقائدهم وأرفعها فإن أطيب تصورات العبد أن تكون في تعظيم عابده وبهذا صار

(١) هو محمد عثمان بن علي الميرغني دخل والده علي الميرغني السودان عام ١٨٩٩م مع القوات الإنجليزية التي أبادت الحكم الوطني القائم وقت ذاك وقد دخل مقاتلًا ضمن قوات الإنجليز برتبة في الجيش الإنجليزي. راجع جريدة العروة الوثقى الصادرة في عام ١٣٠١هـ وهي مطبوعة الآن في مجلد يباع في الأسواق.

(٢) حديث: «الدعاء هو» رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي راجع صحيح الجامع.

الدعاء أكبر براهين الإقرار بالعجز والعبودية وأعظم الأدلة على الاعتراف بألوهية المدعو. أيها المسلم المعافى إنه غباء ما بعده ذلك الذي يدعو صاحبه إلى توهم تلك القدرة العظيمة في مخلوق مثله تصيبه الحوجة والضعف والسقم والانهيار ثم يرى محمولًا على أيدي عابديه يغسلون له مواضع الأذى ثم يسترون عورته في آخر ألبسة الدنيا ثم يغيبونه في صدع من الأرض ويهيلون عليه التراب ويرفعون لله الأكف أن يرحمه وأن يؤمنه من فتنة القبر وينجيه من آفات البرزخ وكربه. ياسبحان الله وواعجبي من جهل يوصل صاحبه إلى هذا الحد المنحط من التفكير ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[الأعراف: ١٩٤] ياويل هذه النفوس المنحرفة عن ربها الواثقة في نفع غيره وإجابته، وياويل هذه الزمر المنقادة لهذه المشيخة الضالة المعاندة لكتاب ربها، ها هو القرآن يخاطب أشرف خلقه وأعظمهم منزلة وأرفعهم قدرًا فماذا قال له؟ وبماذا أمره؟ ليتهم يتأملون قوله سبحانه ويتدبرونه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الجن٢٠-٢٢] فها هو سيد ولد آدم لا يملك لغيره ضرا ولا رشدا فمن يملك الضر والنفع غيره؟ أيملكه هؤلاء الكذابون؟ أفلا تعقل أيها المسلم؟ أفلا تتدبر أمرك أيها المسلم؟ أفلا تتفكر في واقعك؟ إن الله يقول لك مع ما سبق قوله ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦] فمن الذي ارتفع فوق درجة الرسول الخاتم فينفعك؟ وتدعوه فيسمعك؟ أيها المسلم إن شهادات الأنبياء وتبرؤهم من الحول والقوة كثيرة جدًا فها هو يعقوب يعلنها داوية تخترق القرون بعد القرون لتعلم أمة محمد ﷺ أدب الأنبياء مع ربهم وتعليمهم

لأممهم وأتباعهم ما ينبغي أن يكون عليه العبد المؤمن أنه عليه السلام يقول ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف:٦٧] فما أروعها من عقيدة وأعمقها من معرفة أبعدها من لوثات «**الفراعنة**» أنه عليه السلام يرشد أبناءه بما عنده من العلم ويعلن براءته من كل سطوة أو مشاركة لربه في مجريات المقادير ثم يوجههم إلى ربهم ويأمرهم أن يتوكلوا عليه دون سواه فهو الذي يلقى إليه الأمور. ها هي عقيدة صفوات الأمم ورسل رب العالمين وقارن مثل هذه الآية مع توجيهات فرقة السمانية كساكن الذريبة وأضرابه. في كربك اندهو بتغيثك جنده

في أنا الليل دائما صابحين ينقذوا الدركلن بلفو للصايحين

أخيرًا سأنقل لكم فقرة صغيرة من حادثة الإفك وهي عبارة عن جمل تبودلت بين أمنا بنت الصديق عائشة رضي اللّه عنها زوجة الرسول الكريم من جانب ووالديها وزوجها المصطفى من جانب آخر لتأخذوا منها عبرة أيها التائهون قالت عائشة(١): «... **وأنزل اللّه على رسوله ﷺ من ساعته فسكتنا فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه من العرق ويقول «أبشري يا عائشة فقد أنزل اللّه براءتك»** قالت وكنت أشد ما كنت غضبا فقال لي أبواي قومي إليه فقلت لا واللّه لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكن أحمد اللّه الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه. . .» تلك هي عائشة وهذه عقيدتها التي تلقتها من رسول الأمة وزوجها محمد ﷺ وهذا ظنها في نفسها أنها ما كانت تطمع أن ينزل فيها

(١) حديث عائشة وقولها المذكور ... رواه البخاري مطولا عنها رضي اللّه عنهما.

وحي وإنما كانت تطمع أن يري اللّه رسوله رؤيا يبرئها فيها وهذا هو رسول اللّه ﷺ يقرها على قولها أعلاه ويبتسم مسرورا. وها أنتم تزعمون أن اللّه يرسل لكم أمين الوحي مثل الأنبياء وها أنتم تكفرون كل من يرجع الأمر إلى اللّه ويجرد عبيده من الحول والقوة بل وتجاهدون لوأد كل دعوة لهذه العقيدة وتجاهدون في نفس الوقت لتعريف المساكين بأنكم تعطون وتمنعون وتحرمون وترزقون وتخلفون وتجيبون دعاء عبادكم وها هي وجوهكم كالحة في وجه كل من قال لا أدعو إلا اللّه ولا أشكر إلا الذي وهبني أو شفاني أو برأني أو أو ... وأرى الآن أن أوان الإقرار بأنكم على غير ما سار عليه السابقون الأولون قد آن فأسفروا عن وجوهكم.

أيها المسلم ينبغي أن تعلم أخيرا أن أشد ما يرعب البرعى ويقض مضجعه هو كثرة المكتفين بعون ربهم عند الرغبة والرهبة وأكثر ما يخشى أن يعلم الناس المعنى العظيم في قوله ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ وقول المصطفى السائر: «**إذا سألت فاسأل اللّه وإذا استعنت فاستعن باللّه واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك ...**» ولهذا فهو يقول في بعض قصائده.

صلوات هديه للمصطفى والقوم أهل الهدية
البرعى يبقى ناسك هديا ببعد عن السالكي
نهج الهدية[1]

---

(١) هو الشيخ محمد هاشم الهدية الرئيس الحالي لجماعة أنصار السنة المحمدية. اختير لرئاسة الجماعة عام ١٩٥٦م وقد كان للعقائد الباطلة وقت ذاك الهيمنة الكاملة على المدن والقرى فتعرض الشيخ لعواصف عاتية هوجا وجملة من الزلازل تمثلت في ضغوط هائلة من الأنظمة المتعاقبة وطرق التصوف فعاش مشاكل الدعوة التي ثارت ثائرتها في كافة أنحاء القطر واكتوى بنارها مع أخوانه وأبنائه الدعاة وما زال منتصبا كالجبل الأشم =

والهدية الأخيرة في هذا البيت يعني بها الشيخ محمد هاشم الهدية رئيس جماعة أنصار السنة وهو شيخ أفنى أكثر عمره في توجيه المجتمع إلى ربه.

ودعوته إلى الاعتصام به وحده دون خلقه كما أنه ظل يدأب كل هذا العمر للتفريق بين الآدمية والألوهية وتوضيح ما ينبغي أن توصف به كل منهما وليس لهذا الشيخ مبثوث غير هذا المنهج ولعل من الأنسب أن ندعوا اللّٰه بدعوة نراعي فيها الإنصاف فنقول: اللّٰهم إن أحدهما يدعو العباد إلى إفرادك في العبادة والاعتصام بك وحدك ونبذ التعلق بكل ما هو سواك وأما الآخر فيدعوا إلى الاعتقاد الكامل في الأولياء ويزعم أن العطاء عند المشايخ وفي الأضرحة والقباب وأن الدعاء ينبغي أن يوجه إلى العباد ولا تفرد بذلك ياربنا فاللّٰهم أخزي المشاق لرسولك وأصحابه منهما آمين.

التشكل في صورة الحيوان:

والأولياء عندهم - لهم القدرة على التشكل في صورة الحيوانات كما قال عبد المحمود في (شرب الكأس)[1]:

الأولياء يتطورون من البشر   كغضيب بأنهم الولي المشتهر
فيما له شاءوا من الصور التي   منهم وغيرهم كأساد الشجر
وملائك الرحمن تلك فلا اقتدار   لهم على هذا لذي أهل النظر

= يقاوم زمر الشر وقد أربى على التسعين الآن وما زال بحمد اللّٰه متماسكا سليم التفكير صائب التصرفات شجاعًا ثابتا أسأل اللّٰه أن يمد في عمره وصحته ليبقى شجة في حلاقم أهل الشرك والطمع . آمين.

(١) أزهير ص١٣١ .

يعني التطور منهم في مثلهم   حتى ولو جبريل سيدنا الأغر
كن عالما بالأولياء ودع كلام   الجاهلين بحالهم حالي الكدر

هذا ما قاله عبد المحمود وهو فهم فرقة السمانية وعقيدتهم في الأولياء فلولا القدرة على الظهور في الهياكل والصور المختلفة كان يبدو في عمر العشرين مثلًا بينما هو في التسعين في الحقيقة كما يمكنه أن يظهر في صورة كلب كبير من كلاب الغابة أو نمرًا أو فيلًا أو ضبعًا أو ثعلبًا؛ ولأن الشيخ لم يضع حدًّا لهذا الشكل فنقول أنه يمكنه أن يكون في شكل فأر أو حمار أو خنزير أو غير ذلك، فالشيخ قد أطلق وقوة الولي لا حد لها عنده فلا ينبغي أن تضيق دائرتها بل تؤخذ كما وسعها ثم تعرض للحوار المنصف وقد جاء في (النصرة) في ترجمة بعض أوليائهم بأنه: (كان كثير التطور تدخل عليه بعض الأوقات تجده جندبًا، ثم تدخل فتجده صبيًا، وهكذا يرهب الرائي بعين البصر كما يرى على ما ذكر تمساحًا أو ثورًا أو جملًا أو حنشًا أو قصيرًا أو طويلًا أو غليظًا أو نحيفًا أو له أعين كثيرة نحو الستة أو الثمانية أو دونها أو أكثر أو غير ذلك...)(١) ثم حكى عن بعض أوليائه أن بعض الناس رأى له أربعة أعين اثنين منهما فوق الحاجبين..... وأن السمان كثيرًا ما كان جسمه يزيد حتى تمتلئ منه الزاوية (الغرفة)(٢) حتى يخرج لحمه بطاقاتها ثم يرجع إلى صورته الحقيقية ثم زاد أن الولي الشطوطي المصري ينقسم إلى رجلين وينام في موضعين.

(١) النصرة العلمية/١٤٧-١٤٨ .
(٢) أزاهير/٢١٣ .

في الأزاهير يروي عن جده أحمد الطيب فيقول[١] :

« ... ومن كلامه لتلميذه الشيخ سعيد المسلمي يا سعيد لو أردت أن أكون بعد كبري هذا صبيًا لكنت أو شابًا لكنت أو فوق ما أنا فيه من الكبر لكنت... قال ولقد رأيته عام خمس وتسعين بعد المائتين وألفا في حلقة ذكر عندنا بالصعيد وهو صبي عليه من الجلالة والأنوار ما لا أصفه ورأيته إذا تحرك يتحرك الناس بتحريكه وإذا سكن كذلك وإذا حصلت به حالة فإنه يحصل لجميع الذاكرين وهكذا إلى أن طلع الفجر وأذن المؤذنون ثم خرج من أمام الحلقة » انتهى وأقول هذا كله وسواس وتيه وكل ما ذكره يناقض نصا من نصوص الشرع فأما قوله أن الولي يتصور بصور الحيوانات كالثيران والتماسيح والكلاب والقطط والضباع فإننا ننبه إلى أن تطورًا كهذا لا يضاف إلى مناقب فاعله « **لو صح** » فإنه يكون قد انتكس ولم يرتفع ويعظم وإلا فما رجحان الثور على الآدمي؟ والفأر على البشري والتمساح على تقي نقي؟ والتيس على الصالح لقد قال المولى عز وجل مبينا دقة صنعه الآدمي وجمال تصويره للآدمي في ذلك على سائر المخلوقين فذكر في سورة التين ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ فيقال لهذا التائه وأضرابه من السمانية إذا انقلب الولي إلى هيكل نجس مستقذر هل عوفي أم ابتلي؟؟ فإن قال عوفي فقد كذب وافتضح وإن قال ابتلي قلنا فما المدح بالبلاء والتنكيل؟ أم مدحه لأنه صار أحسن من الأحسن المذكورة في الآية آنفا؟ فإن قال قد صار أحسن من الأحسن قلنا نافرت كتاب الله ونبذت هديه فأنت من فجار عباده فإن الأحسن تعني الأفضل في الصنع والأجمل في التصوير فإن انقلب إلى ضبع فقد أنزل من كرامة الله إلى ما لا يحبه عاقل ولا يستلطفه جاهل ولا يؤثره

---

(١) أزاهير/٢١٣ .

عالم ومتدين. ونسأل ورثة هذا الهالك ونقول لهم: لما لم يكن من معجزات الأنبياء التصور بصورة الأسد والنمر مع حاجتهم الشديدة لهذه الخاصية الغريبة؟ ولما لم يرد ذلك عن متقدمي الأمة في الفلاح والولاية كأصحاب النبي رضوان الله عليهم خاصة وهم كانوا أحوج إلى مثل هذه القدرات لأنهم في صراع فكري دائم مع أهل الملل المناوئة في المدينة والشام والعراق كما كانوا في معارك حربية متواصلة فانقلاب عشرة فقط من جيش أبي عبيدة الجراح أو جيش خالد بن الوليد إلى نسور تتجسس أخبار العدو مفيدة جدًا لهذه الأمة جمعاء فلم لم يحصل مع وجود الحاجة لذلك؟ لقد قال ربنا في كتابه وهو أصدق القائلين: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠] هكذا قال فمن زعم أن آكلة الحشيش أو آكلة جثث الموتى أكرم من البشر في صورتها وطبيعتها فقد غالط نفسه وخالف العقلاء ومن زعم أن من أسكنه الحظائر وأخاديد الأرض وصدوع الجبال وفروع الأشجار - أكرم ممن رزقه الله طيبات البر والبحر وأسكنه جميل المساكن وبوأه كريم المواضع فقد برهن على اختلال فكره وهو في هذا ساع إلى إخراج نفسه من قائمة الإنسانية وإضافتها إلى عوالم البهائم وهذا على التحقيق خذلان من الله لكل من تنكب طريق النبي ﷺ وهديه وسلك طريق التائهين والمشاقين للمرسلين وأما قوله أنه رآه سنة ١٢٩٥ أي بعد هلاكه بأكثر من خمسين عاما فأقول قد انعقد الإجماع من كافة أهل العلم والأئمة على استحالة رجعة هالك وامتناعها ورفض رجعته ليقيم ليلا أو يصوم يوما أو يصلي وقتا أو يضرب طبلا وقد أجمعوا على أن قبر محمد ﷺ أول قبر ينشق عن صاحبه يوم القيامة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا

لَا يُرْجَعُونَ﴾ ولقول النبي ﷺ[1] لجابر بن عبداللَّه: «**أتدري ماذا قال اللَّه لأبيك؟ فإنه قال تمن علي عبدي فقال أن تردني إلى الدنيا - فأقتل فيك ثانيا قال فقال اللَّه: سبق مني أنهم إليها لا يرجعون**».

فهذا عبد يريد الرجعة لممارسة القتال في سبيل اللَّه وهو أرفع صور العبادة فيرد اللَّه طلبه ويمنعه فمن زعم أن مخلوقا أرجعه اللَّه إلى قيام ليل أو ضرب طبل فكذبه مكشوف.

وقد ورد في الحديث[2] «**أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ...**» وقد يتساءل السماني وغيره من ضحايا التصوف هل كان عبد المحمود بهذا المستوى المنحط من الجهالة والغباء؟ فأقول: قد قبل عبد المحمود ما هو شر من ذلك فصدق أن من يتفخذها جده أحمد الطيب كتبت من الناجيات من العذاب وأنها لا خوف عليها ولا هي تحزن. بل قال بأسوأ من ذلك وقَبِلَه من هو أرفع عندهم من عبد المحمود. أما سر عبد المحمود فمكشوف فهو إنما ينشر مثل هذا ويبثه بين الناس لأنه أساس غناه وسبب حياته الناعمة وهو ما يجر به الجهلاء ويلقي بهم في حظائره وربما كان جهله بالسنة هو الذي زج به في هذه الظلمات والأمران جائزان عقلا وفي كتاب اللَّه ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣] وأما زعمهم أن الولي قادر على أن يرجع إلى هيئة العشرين عاما من التسعين أو المائة أو غير ذلك

---

(١) حديث جابر. . رواه الترمذي وابن ماجه بإسناد حسن.

(٢) حديث أنا أول .. راوي هذه الجملة مسلم في صحيحه وأبو داود عن أبي هريرة والترمذي عن أبي سعيد وهو حديث صحيح.

فهذا من أكاذيب المشيخة وقول القائل: إنه قادر على ذلك تكذبه وقائع المرسلين وأحوالهم وسائر صفوات الخلق من المؤمنين منذ بدأ الدنيا فلم يذكر عن أحدهم أنه رجع إلى صورة الشاب وهيئته بعد أن شاخ وامتدت به السنون والأيام فهذا من أسمج الكذب ولقد أخبر رسول الله ﷺ صحابته أيام منى في بعض خطبه: «**أن الله تعالى أنزل لكل داء دواء إلا الهرم**»[١].

وأما قوله: إن الملائكة لا تستطيع ذلك فنقول في هذا خلط شديد وعكس للواقع فالملائكة ليست كالبشر في الخلق فليس هناك ملك يشيخ أو يهرم حتى نؤيد أو نرفض قدرته على الرجوع إلى صورة الشاب المزعومة وهذا القول من هذا السماني دليل على أن الشيخ يكتب بلا تفكير وتمعن.

وأما تشكل الملائكة في بعض الصور فثابت كما في حديث الثلاثة المختبرين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ... وفيه أنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلغ عليه في سفري فقال له: إن الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص؟ يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله فقال لقد ورثت لكابر عن كابر فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت . وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا... وأتى الأعمى في صورته فقال له مثل ذينك ...**»[٢].

---

(١) حديث لك داء.. رواه أحمد في مسنده عن أسامة بن شريك من غير ذكر منى، فقد أورد ذلك ابن حزم في منسكه.

(٢) حديث شكل الملك في قصة الأبرص والأقرع والأعمى... رواه الشيخان عن أبي هريرة.

فهذا الحديث يثبت تمكين اللّه للملائكة بالتشكل بما شاء لهم من الصور فالقول بنفي هذا جهالة وتخصيصه جبريل بالعجز تنبيها منه على الأدنى من الملائكة مؤشر على علاقة متدنية بين الشيخ وكتب السنن فقد تشكل جبريل في صورة دحية بن خليفة الكلبي كثيرا كما ورد في حديث أسامة كما أن إتيانه في صورة شاب أسود الشعر ورد في حديث عمر رضي اللّه عنه(١) وغيره بل ثبوت هذا لا نزاع فيه بين العلماء إذ ورد في كتاب اللّه كما قال ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٨].

فها هو جمع من الملائكة تصوروا بصور البشر حتى التبس على الخليل إبراهيم عليه السلام فكيف يزعم هذا المسكين أن الأولياء يقدرون على ما لا تستطيعه الملائكة؟ نعم لم يثبت تشكل الملائكة وأولياء الأمم في صور الكلاب والتماسيح فالأولياء والملائكة سيان في عدم القدرة أو عدم التمكن من تصورهم في الصور المستقذرة وأن اللّه صانهم عن هذا الدرك المتدني وخلاصة القول أن كل ما اشتملت عليه هذه الدعوى فباطل وهراء يخالف نصوص الملة الإسلامية ولم يقل به جهابذة العلم بل نصوصهم متواترة في دفع هذا ورده فلا تكونن من الجاهلين.

---

(١) حديث عمر في مجيء جبريل. ورد في الصحيحين.

مجتمع الأولياء الدموي:

من المعلوم جدا عند جميع الطوائف في الأمة الإسلامية نقاء سرائر الأولياء وزكاة نفوسهم وصفاء أفئدتهم من لوثات السوء وقبيح التفكير وسلامتها من الحسد والغل وما أشبه ذلك وهذا يستلزم السكون والرزانة وبراءة المجامع غير أن مشايخ فرق السمانية ومن كان على شاكلتهم في زيغ القلوب يصورون عالم الأولياء عالما دمويا يفشو فيه الصراع والقسوة ويكثر فيه التحاسد وإليك ما جاء في النصرة العلمية[1]: «اعلم أن أسرار الأولياء قد تتنوع على ما تتعلق به خواطرهم من أصناف الأسلحة العادية وضربهم لبعض بسبب ما يقع بينهم من الخلاف في بعض الأمور. قال الشعراني لما طعن النوبة سيدي عليا الخواص جاء الشريف المجذوب ورد عنه الطعنة فكان لا ينساها له ثم إنهم طعنوه طعنة أخرى فأصابته وذلك أن الشفاعات كثرت على سيدي على الخواص أيام السلطان ابن عثمان وكان أصحاب النوبة بمصر عجما فكانوا لم يزالوا يعارضونه ويعارضهم فطعنوه بخنجر في مشعره ولم يزل به إلى أن مات بعد ثلاثين يومًا وذكر أن سيدي عبد القادر الجيلي لما قال قدمي على رقبة كل ولي للّه قد طأطأ الأولياء رقابهم إلا رجلا من العجم فقطعت رأسه لرقتها. واعلم أن تصريف الأولياء في بعضهم بعضا بأي نوع من أنواع القتل مما لا ينكر. وفي الذهب الإبريز قال: وقد يغيب الغوث من الديوان فلا يحضره فيحصل بين أهل اللّه والديوان ما يوجب اختلافهم فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضا فإن كان غالبهم اختاروا أمرا خالف الأقل في ذلك فإن الأقل يحصل فيهم

(١) النصرة العلمية ١٢٩.

التصرف السابق فيموتون جميعا. قال: وقد اختلفوا ذات اليوم في أمر فقالت طائفة منهم قليلة: إن لم يكن ذلك الأمر فلنمت. فقالت الطائفة الكثيرة: فموتوا إن شئتم. فماتت الطائفة القليلة وإن تكافأ الفريقان حصل التصرف فيهم جميعا».

هذا كله كلام عبد المحمود ونصرته . وأقول فباللّه عليك أي المجلسين أشر على الأمة؟ مجالس الأولياء المزعومة هذه أم مجالس البارات وحانات السكر عند انصرام الليل وبرودة الجو؟؟ أنشدك اللّه أيها المسلم أمجالس إعدام الأولياء والصالحين أشر على الأمة أم مجالس إبادة الفسقة؟ إن الذي يصوره هذا الأحمق عالما بعيدا عن ولاية اللّه ولهذا نشأت مجتمعاتنا وهي تجهل تمام الجهل معالم الولاية الحق فكانت هذه الجاهلية التي نعانيها.

إن هذا الديوان الذي ذكره عبد المحمود وأنه موضع تشاور مدبري الكون ومكان إصدار قرارات العزل والتثبيت والتدمير وهزائم الجيوش وانتصاراتها وسنين الجدب والغيث والسيول والفيضانات ... إلخ ينبثق من الوثنية الضاربة في قلوب مشايخ المتصوفة ولقد مضى زمانا طويلا كنا تحت وطأة الفكر الصوفي فكانت فكرة الديوان تنبعث عند كل خطب جلل يمر بالأمة أو الوطن أو في القرية فالحمد للّه الذي أخرجنا من هذه الظلمات. لقد كنا كما أرشد هذا التائه نعتقد أن إدارة الكون موكولة إلى زمرة من البشر يجتمعون في هذا الديوان المزعوم على غرار إدارة الشركات والمصانع فمن ولي من الحكام قلنا ولته الأولياء في الديوان ومن عزل قلنا عزلته وهكذا كنا - واللّه شهيد- ننسب كل مجريات الكون وتدابير الحياة إلى الأولياء لا إلى المولى الحق سبحانه ثم كنا نعتقد -ووابؤساه- أن مدبري الكون قد يقتلون

بعضهم بعضا عند اختلاف الرأي وهو كما قال المولى عز وجل ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ولقد أورد عبد المحمود بعض أدلته على هذه الدعوى وهي لا تتعدى هوس التصوف ونحن لا ننازعه في هذا التقاتل ولكننا ننصحه ومن كان على فهمه على أن هذه الولاية شيطانية لا محالة. ويا أيها القارئ تأمل الأمر بفكر نافذ وإليك هذه الطامة الكبرى فقد روى في أزاهيره[(١)] عن محمد ولد طه الرفاعي قال كنت قبل صحبتي لسيدي الشيخ أحمد الطيب وصحبتنا لبعض المشايخ المشهورين فلما صحبت سيدي الشيخ أقمت عنده أعواما ثم طلبته الإذن في الرجوع إلى وطني فأذن لي وأمرني بزيارة ذلك الشيخ وكان شيخًا غيورا فتغير به الحال عندما رآني ثم عاتبني على اتصالي بالشيخ وانفكاكي عنه فسكت غير معتذر له فلما علم عدم رجوعي إليه وجه همته علي بالضرر فخرجت من عنده مسافرا إلى بلدي فلما سرت كذا وكذا ميلا فلم أشعر إلا وهو بين يدي فلما أراد أن يأخذني بالحال استغثت بسيدي الشيخ فرأيته قد نزل من الجو بيننا فأخذ كل واحد منا بيد من يديه ووضعه فوق فراشه[(١)] قلت: ألا قد بان الأمر وانكشف الغطاء وظهرت حقيقة هذه الطريقة الشيطانية وحال قادتها فتولى عنهم فما أنت بملوم فهذه ولاية شيطانية وتلك شراذم كهنوتية خالصة وإلا فقل أيها المسلم: لماذا تعلق ذلك المسكين بالشيخ الجديد بدلا من شيخه القديم؟ والإجابة بداهة هي أنه -حسب فهمه- يريد خيرًا أكثر ونعيما أوفر فأقول سائلا: لماذا رفض ذلك الشيخ المشهور لتلميذه الترقي الذي يظنه فانتاب مجلسًا آخر ومشيخة غيره؟ أليس

(١) أزاهير الرياض ص: ١٦٤-١٦٥.

من حق المسلم أن يجالس من يظنه نافعا؟ فإن قلنا إن هذا الشيخ كره مفارقة تلميذه له لشيخ غيره من باب المنافسة فلماذا أسرف وتعدى العتاب والحوار الهادئ وتخطاه إلى محاولة الفتك و الضرر؟؟ وبأي حجة استحل دمه وأذيته؟ ألأنه اختار لنفسه وما يظن نفعه وهل يحل اللّه أذية المسلمين لمثل هذه الأسباب؟ أخيرًا هل تظن أن بهذه الضروب التزاما بشرع اللّه المنزل؟ وهل تثق في بعض علماء اليوم إن استحل دم تلميذه إن جلس لغيره من العلماء مثله؟ إن هذا الذي حكاه عبد المحمود ورواه عمن يقتدي بهم ليشهد على أن ولاية الزور هي التي كانت فاشية في ذلك الزمان وأما الدفاع عن هذا الهوس بدعوى أن للولاية أسرار تصادم الشرع المحمدي فهذا قول أخذ فشو ألسنة يضيق عليه ساداته فلتبحث السمانية عن شراك جديد غيره للإيقاع بالمساكين لأكل أموالهم والانتفاخ بأعراقهم وجهودهم فإن الولاية الرحمانية قد تولى اللّه وصفها في كتابه الكريم ونزهها عن هذه الصنائع التي لا تخفى على عاقل وجهتها فضلا عن عالم فاللّه يقول عن الولاية: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا

مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٤].

فأين هذا من سفاكي الدماء وأهل البطش وناشري الزور وأصدقاء الشياطين والجن؟ تالله ما هذه التي تستحل دماء بعضها بهذه الصور السابقة، والولاية الحق التي قال الله عنها: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤، ١٣٥]. والأولياء هم الذين وصفهم الله فقال عنهم: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]

والأولياء هم أهل النصرة لكتابه وسنة نبيه وأهل الغيرة عليها المحاربون لكل مضاد لهما كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

والأولياء هم الذين يتصفون بصفات الخير المذكورة لأبرار الأمم ويسيرون على دروب أهل المحمدة المشهود لهم في كتاب اللَّه الكريم ويقتدون بأفعالهم وأقوالهم كمن قال اللَّه في شأنه ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣-١٩].

هذه هي أخلاق الأولياء في نفوسهم وتوجيهاتهم لمجتمعاتهم وأسرهم ومن يتولونهم.

والخلاصة أن هذا العالم الذي تصوره هذا الشيخ السماني لا صلة له بولاية اللَّه وأهلها ولا الصلاح والصالحين وإنما هي أوهام نشأ فيها وفساد فكر ترعرع فيه وهو دلالة ظاهرة على أن هذه الفرقة في واد عريض من أودية الهلاك فمن أسلم قياده لها واستسلم لمشيختها فقد أخرج نفسه عن دائرة المهتدين وناقض طريقة المرسلين فانج بنفسك منها واقتد بمن قال اللَّه

فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

الجماعة الكهنوتية:

إذا أضفت أيها القارئ إلى ما سبق من وصوف لتلك الولاية المزعومة وما ستلتقطه بنفسك من مؤلفات هذه الفرقة يتبين لك بجلاء ما يوجد من علاقة وثيقة بين هذه المشيخة وعالم الشياطين مما يكشف لك نوعية هذه الولاية وما ستعثر عليه من أقاصيص الكهانة التي خطتها أقلامهم هم والتي سأنقل لك طائفة منها والتي أعتبرها نكالا من اللّه لطائفة من أعدائه سبحانه وتعالى فهو القاهر قد فضح الفرقة ببعض أحبارها كالشيخ عبد المحمود نور الدائم فقد سلطه ليجمع كافة أخبار المشيخة ويظهر عقائدها المتوارثة وهذا النكال الرباني يذكرني بقول اللّه عن بعض شرار الأمم السابقة وهو: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر:٢].

والذي أعتقده أنه سبحانه وتعالى يفعل هكذا بفرق الضلال صيانة لمسمى الولاية ومعناها أن تنتحله فرق الأرجاس وجنود إبليس وبهذا يدوم الصراط المستقيم ظاهرا واضحا لينكشف لكل ناظر من يسير عليه من الخلق وتظل سبل الشيطان مكشوفة يظهر كل من يسير عليها وقد رسم رسول اللّه ﷺ يوما صراط الضلال بقرب صراط اللّه فجعلها خطوطا تتجه خلاف اتجاه الصراط المستقيم إشعارًا بأنها تخالفه في وجهته كهذا الرمز(=[=).

وإليك أخي المسلم إقرارات الفرقة واعترافات أحبارها بتلك العلاقة الآثمة يقول عبد المحمود نور الدائم[١] «**إن الشيخ أحمد الطيب وهب الشيخ حسيب وهو من تلاميذه ألفين وخمسمائة من الجن ليخدمونه فيما يريد**» ولهذا كان هذا التلميذ كما روى عنه عبد المحمود «**يخرج من مثلث أبي حامد ما شاء من دراهم ودنانير وغيرها وربما أخرج جمرة من النار عند الاحتياج إليها كما أخبرني بذلك تلميذه العارف الحسن الميرغني وربما فعل ذلك من غير وفق يعمله قال وكان إماما في كل علم لاسيما علم الحروف فإنه كان فيه ثالث لأبي حامد والبوي**»[١] قلت أما الأوفاق المشار إليها فإنها من علوم الكهان والسحرة ولا خير فيمن ينتابها فإنها من دجل اليهود وعباد الجن وفيها ما يخرج من ملة الإسلام وإليك أمثلة منها[٢]:

١- إذا أردت أن تسلط الجن على الناس مثل الفأر تكتب كتابا وتدفنه مع هذه الطلاسم وهي: لم ك ١٩ لل ٩١٩ لا ح ح ح ٢٣٢ ع غ ٩٩ م غ ع غ غ..

وأقول هكذا ترشد هذه الفرقة أتباعها إلى طريقة من طرق التشفي وتعلم أتباعها كيف تسلط الشياطين على الناس افتراء أن هذه من علوم محمد وإرشاداته لأولياء أمته .

٢- ومنها إذا أردت أن تحرق قلب امرأة تكتب هذه الطلاسم وتدفنها في مستوقد النار وتكتب معها... خذ فلانة أخذ عزيز مقتدر حتى يلج الجمل في سم الخياط.

---

(١) أزاهير الرياض: ٢٨٤.

(٢) أوقاف الغزالي.

٣- ومنها إذا أردت جلب امرأة لقضاء وطرك تكتب على سراج ... تأتيك في الحال.

٤- ومنها يا اللّه تسخر لي ملائكتك المقربين وحضرة وكلللسفيائيل ياسائيل ورضبائيل بوسمخائيل وسمخيل ... إلخ هذه نماذج من الأوفاق التي يتقنها تلاميذ الفرقة كما ترجم لهم عبد المحمود في أزاهيره وهي في جملتها من شباك الزنات وشراك أهل التهتك والفجور عافاك اللّه! فأين هذا من الصلاح والصالحين؟ وفيها ما لو رأيتها من الاستعاذات بالجن والأسماء الأعجمية وترديد الجمل التي لا يفهم لها معنى من ذلك النوع الذي حذر من ممارسته مالك بن أنس ما لا يعد ويقول عبد المحمود[1] في ترجمة بلة ولد رحمة اللّه تلميذ الشيخ أحمد الطيب: وقد ملك ملوك الجن السبعة وقد تصرف بهم في كل ما أراد وظهر بالكرامات والخوارق بين أهل تلك البلاد. وواضح من قول عبدالمحمود أن هذه الكرامات ليست ربانية وإنما هي خوارق شيطانية كما قال بنفسه «وتصرف بهم» وترجم أيضًا لتلميذ السمانية الأكبر المسمى محمد التوم.

«ومنها ما حكاه الفقيه سليمان والد أبي شمال قال: كنت مقيما ببعض السنين بشبونة مدرسا فيها للقرآن الكريم فرأيت درويشا من دراويش الشيخ فأسمعته ما أغضبه من كلمات الإنكار فلما جن الليل رأيت الشيخ محمد التوم واقفا أمامي في يديه عكاز فضرب به الأرض وقال: ألك تصريف في بلادنا؟ قلت: ليس لي فيها شيء قال: إذا طلعت النجمة يعني التي تخرج

(١) أزاهير الرياض: ٢٨٩ وتأمل قوله وتصرف بهم في كل ما أراد.

قرب الفجر وأنت بمحلك هذا يكون طلوع روحك معها قال: فانتبهت مذعورا خائفا لا أشك في وقوع ذلك لما تحققت من حال الشيخ فأسررت بهذا الكلام إلى بعض تلامذتي وقلت لهم الحقوا بي فإنه لا إقامة لي بعد بهذا المكان قال فمشيت وحدي خوفا من وعيده فلما طلعت النجمة خرجت إلى بلاد أخرى وما عدت إلى ذلك الموضع إلى يومنا هذا خوفا من سطوة الشيخ وبطشه.. والذي أقول به: إن كرامات الشيخ محمد التوم لو كتبت لملأت مجلدين ضخمين...»[١] انتهى كلام عبد المحمود وأقول بيقين تام أن هذه ليست مواصفات الذين قال الله عنهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] فإن ما يستنتج من هذه الرواية أن هذا الشيخ عند معاصريه وملازميه فاتك مهلك مسرف في كل خصومة فاجر لذلك إذا سلمنا أن هذا المرئي هو الشيخ نفسه وليس أحد شياطينه. وإنه لا صلة له بقول الله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ وإنه فوق ذلك كله يهتم بما لشخصه من مصالح الدنيا ولا يهتم بما كان لله ولدينه إذ أنه أخرج معلما لكتاب الله من قريته بمجرد إنكار المقرئ على بعض دراويشه ومغفليه رضيت نفسه أن ينفض من قريته جمع ما استقر إلا لحفظ القرآن الكريم أما قول المقرئ في تلك القصة لا شك في وقوع ذلك لما تحققه من حال الشيخ فهو من أوضح الدلائل على أن الشيخ السماني هذا مشهور عند حفظة القرآن ومحفظيه لبعض الشرور كالبطش أو أنه معلوم بصحبة المردة والشياطين خاصة وقد أشار عبد المحمود في نصرته[٢] إلى طعن بعض فقهاء عصره في سلوك هذا الشيخ والظاهر أن الشيخ المذكور أرسل في تلك الليلة

(١) أزاهير الرياض: ٣٠١.

(٢) النصرة العلمية :١٥٨.

بعض مردته من الجن فتعرض لهذا المسكين وخوفه بما خوفه به ليخرج من هذه القرية الظالم شيوخها وأهلها وأن هذا لعمري الحق، مواصفات مشيخة المثلثات والأوفاق وثمرات علاقة الجن وصداقاتها، وهي للأسف الشديد كانت الفاشية في تلك الفترة وأربابها هم قادة الناس ومرشدوهم لهذا فلا أشك أن تلك الكرامات التي زعم عبدالمحمود أنها يمكن أن تقدر بمجلدين ضخمين كلها من خوارق السحر والدجل وألعاب الشياطين ولا صلة لها بكرامات الصالحين. وسيرى الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقد ذكر عبد المحمود أيضا من أصحاب الكرامات الذين تتلمذ على شيخ الفرقة مباشرة من سماه محمد ولد الأزيرق الجبلابي فقال عنه[١]: «**كان له معرفة بالأسماء وخواصها وتصرف بالجن**» ومنهم أيضا الشريف أحمد موسى السواكني قال: وله معرفة بعلم السر والكيمياء وهو ممن زوجه الشيخ أحمد الطيب أحد بناته ومنهم الجراري قال[٢]: وكان الشيخ أول أمره أميا فلما فتح عليه ألف تأليفا حسنا ونظما بديعا في الحكمة وقد شاهدت له منظومة بديعة في علم الحروف سماها شمسية الإشراق في علم الحروف والأوفاق وهي أحسن ما رأيته مؤلفا في هذا الفن.

أقول: ولا ينبغي أن يفوتنا أن ننبه أن هذه الأوفاق والكيمياء والمثلثات الكهنوتية الفاشية وسط أكابر السمانية لم تكن إلا من علوم شيخ طريقتهم أحمد الطيب السناري والذي تلقاه من شيخه عبدالرحمن العبدري وهذا تلقاه من مفخرة السمانية وشيخ مشايخهم مصطفي البكري وزاد كل هذا من طلاسم الشيخ محمد عبد الكريم السماني وإليك طلاسم أحمد الطيب:

(١) أزاهير الرياض: ٣٤١.
(٢) أزاهير : ٢٣١.

١- شقيق ٣ شقموني ٣ شمو شلخ ٣ رااع المنخ ٣ أبا نوح ٣ العجل ٣ الساعة.

٢- هذا هو الطلسم هذا الوفق الثلاثي

هذه من علوم أحمد الطيب وبعض ما بثه أتباعه وهو مبثوث من زاغ عن جادة الطريق وفارق دروب الأولين مؤثرًا هذه الفانية وصنيع من عجزت أعماله عن استنزال العون الإلهي وقد مر عليك نهي مالك بن أنس ومحاربته لكل رقية أو دعوة عدل صاحبها عن لغة القرآن ومال إلى الأعجمية والطلاسم فيا ويل هذه الزمرة من يوم الطامة و كشف هذه الألاعيب ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

« ومن كرامات الشيخ ما أخبر به رجل من أهل شالدي قال سافرت في بعض السنين إلى دنقلة لأشتري تمرًا وكان معي جماعة من أهل بلدي فنزلنا عند رجوعنا منها عند الشيخ وكان الوقت غلاء فقال لنا هل نجد فيكم ذا مروءة يبيع لنا تمره لأجل مسمى نستعين به على الفقراء والضيوف؟ قال: فقلت له: نعم، فدعا لي بالبركة وأمرني بالإقامة معه واستلم تلامذته مني التمر وكذلك الجمل الذي يحمله بالثمن الذي رضيت به ثم إنه وادع رفقتي الذين كانوا معي فسافروا وبعد أيام كتب لي كتابا وأمرني أن أسافر إلى بلدي وأن لا أقرأ ذلك الكتاب إلا بعد أن أرى بلدي فلما رأيت البلد فتحته وقرأته فإذا فيه: من أحمد الطيب البشير إلى فلان وفلان وفلان ثلاثة من الجن سماهم بأسمائهم ومضمونه إذا وصلكم كتابي هذا فأعطوه ثلة من

الذهب ما يكفيه قال فخرج من الأرض ثلاثة على أحسن هيئة فقبلوا يدي ورجلي واستبشروا بقدومي عليهم ثم أمروني أن أغمض عيني ففعلت فإذا أنا بأرض بيضاء وبساتين وقصور ما رأى الأولون مثلها ورأيت الجن يهرعون إلي من كل جهة بالهدايا الذهبية كالأوقية والنصف والربع ودون ذلك إلى أن يقول ثم جاء الثلاثة المذكورون وبيدهم طاسة مملوءة ذهبًا وأمروني أن أغمض عيني كالحالة الأولى ففعلت ذلك فإذا أنا في الموضع الذي حملوني منه » وأقول إن هذه القصة تمثل أكبر رادع لكل من ينكر ارتباط مشايخ السمانية بعالم الشيطان بالصحبة والصداقة وتبادل المنفعة هذا وقد كان للشيخ أحمد الطيب سعيًا شديدًا في تلقين كل من يتفرس فيه الجهل من أتباعه هذه المهلكات ولهذا كان من حكمه المشهورة لأتباعه لتعليم هذه المهالك قوله من فقدت عنده حروف سكر فإنه لا يذكر(١) فسئل عن ذلك فقال: السين سر والكاف كيمياء والراء روحاني وكان لا يعطي الطريقة كل من طلبها من المريدين فمنهم من يعلمه الكيمياء بأدنى إشارة ويأمره بالزهد فيها إلا عند الشدة ومنهم من يصرفهم في الروحاني ومنهم من يعطيه الطريقة ويمده بأسرارها .

قلت وهذه غاية الصراحة من الشيخ وأكبر اعتراف بالعلاقة المتينة بينهم وبين السحر وعالم الشيطان فعلى من يدافعون عنهم أن يستيقظوا من سباتهم وينظروا مواضع أقدامهم ليعرفوا أنفسهم على صراطهم. فإن كثيرا من المروي يدل على بعد الشيخ من صراط المرسلين وأتباعهم وإنه على التحقيق من جهال الناس لمنهج النبي ﷺ ومن مهرة الدجالين وأكابر العابثين بهذه الأمة.

---

(١) أزاهير الرياض ٢١١.

وفي ترجمة حسن بن عثمان الميرغني وهو ممن سلك الطريق السماني آخر أمره هذه الدعوة الشيطانية الموسومة البرهتية فتأملها جيدا «أقسمت عليكم وأزجرتكم وأحلفكم باللَّه وأستعين عليكم باللَّه بأسمائه وآياته وقوته وسلطانه وأدعوكم إلى طاعة اللَّه سبحانه وذكره وعهده المأخوذ عليكم من سليمان بن داود عليه السلام والميثاق الغليظ الذي عاهدكم به عند باب الهيكل الكبير ببابل فلا تخونوا عهد اللَّه وميثاقه أيتها الأرواح الروحانية العلوية والسفلية وخدام العهد الكبير بحق ما تلوته عليكم وهو : بهتة ٣ كرير٣ نتلية٣ مرجل٣ طروان٣ مرجل٣ برجل٣ نرقب٣ برهز٣ غلمش٣ خواطير٣ فلشهود٣ برنان٣ كطهير٣ نموثلنح٣ برهيولا٣ شليكح٣ قزنر٣ بعلاليط٣ قرات عياها كبر هولا٣ شمخاهر شمهاهر هو رب النور- غيطل غيطال فلا إله إلا هو - باه هو تغقطهال أجب باسريطائيل الملك الموكل- بالهدبكهصصهوتية نهطهطهوتية باه واه نموه نلطشغاويل أموبل أبال تطباشطبال باروخ أروح شاروخ بعزة باروح بما هو مكتوب في جبهة إسرافيل لما رأته الملائكة خروا ساجدين»

«أيملخ مزعج البحار كشطرنج منير الأفلاك طبلغ منشئ الأشجار شطكيك مزعج العفاريت -بذلك الاسم الأعظم ألا ما هبطتم إلى الأرض بحق هذه الأسماء عليكم وأجب إليها السيد طحيطمغليلل هيا الواح يا مسيطرون - بعزة العزيز المعتز في عز عزه. أجيبوا ازجروا لي الملوك العلوية والسفلية أن يحضروا إلى مقامي هذا ويفعلوا ما أمرتهم به بحق هذه الأسماء عليكم. أجب أيها السيد زدفيايل الملك الموكل بفلك الشمس وازجروا لي أبا عبد اللَّه المذهب خادم يوم الأحد أن يحضر إلى مقامي هذا سميعًا مطيعا. أجب أيها السيد جبرائيل الملك الموكل بفلك القمر وازجروا لي مرة بن

الحارث خادم يوم الإثنين أن يحضر إلى مقامي هذا سميعا. أجب أيها السيد سمسمائيل الملك الموكل بفلك المريخ وازجروا لي أبامحرز الأحمر خادم يوم الثلاثاء أن يحضر إلى مقامي هذا سميعا مطيعا(١)... إلخ وهكذا يستمر الميرغني في هذا الهزيان المخرج من الملة نحو ثلاث صفحات أخرى ولا ينسى أن يزج باسم اللّٰه الأحد وسط هذه الآلهة الباطلة ويخاطبه بما لم يؤلف وإذا لم تستح فاصنع ما شئت والذي أعتقده أن البحث في بطلان هذا الصنيع وتطلب الأدلة لدمغه أولى بقول الشاعر الحكيم:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ولو تأمل كل إنسان قول ذلك الضال: طبلغ هو منشئ الأشجار- شمهاهر هو رب النور الأعلى- غيطال فلا إله إلا اللّٰه- لاستبان له زيغ القائل وكهانته. فإن قال قائل إن هذه ملائكة قلنا سبحان اللّٰه وهل يطلب شيخكم ملائكة اللّٰه بالزجر وقوارع الكلام؟ وهل يخوف شيخكم ملائكة اللّٰه الخيانة ويحذرهم مغبة ارتكابها؟ إن أسلوب هذا الشيخ الضال ليدل دلالة واضحة أنه يخاطب جنا وشيطانًا.

وقل لي بربك أين وجد هذا في كتب الأئمة من السلف السابقين من سمى الملائكة بهذه الأسماء المنهكة للفم واللسان معا؟ أيها المسلم الفطن إن سليمان بن داود عليه السلام لم يأخذ عهدا على ملائكة وإنما ذلل اللّٰه له

(١) هذا هو تصوف السودانين الذي زعم رئيس تحرير جريدة ألوان بعد مجزرة مسجد الجرافة أنه تصوف سيء وأن مهاجمة أنصار السنة لهذا التصوف هو الذي يجر عليهم الاغتيالات وأقول لا غرو فإن الرجل من حاملي فكر الترابي وأتباعه المؤيدين له في كل أفكاره فلا يستغرب هذا التصريح من هذا الضرب من الناس فمعرفتهم بالسنة ضعيفة واتباعهم لها أضعف.

الجن والشياطين فتملكهم واستخدمهم ولم يتذلل لهم ولم يخضع لهم- حاشاه- وينسب لهم الخلق والتدبير ويستصرخهم استصراخ العابد لمعبوده المتذلل لصانعه المسيطر عليه والشيخ يدري أنه يخاطب الشياطين ويستنصر بهم ويفزع إليهم لا إلى اللَّه فلا تكونن من الغافلين.

أيها المسلم الحذر الحذر والنجاة النجاة لقد ذل أكثر قادة فرق السمانية وتساقطوا في هاوية الكهانة السحيقة إيثارًا لهذه الفانية ويدعمون بهذا المسلك دعوى الولاية الربانية جمعا للجهلاء فالهرب الهرب قبل الموت والنجاة قبل الفوت. هداك اللَّه.

* * *

الباب السادس

إرشادات السمانية لأتباعها لدخول الجنة

من احتضنها الشيخ دخلت الجنة

من رأى سرة الشيخ دخل الجنة

من رأى الشيخ أو رأى من رآه

من زار الشيخ كان كمن حج البيت

من عرف اسم الشيخ دخل الجنة

من نسب قبر ميته إلى الشيخ دخل الجنة

من أكل من سماني دخل الجنة

من دفن في كرري دخل الجنة

من الملاحظ عند الكافة تنافس فرق التصوف في الحصول على كثرة الأتباع وهذا ما يلجئ شيوخها إلى ركوب الصعب والذلول ويضطرهم إلى دخول كل جحر خرب وسلوك أخطر المسالك لهذا فقد اختلقوا الأقاويل وكذبوا على الجليل فادعى كل شيخ أن طريقته أحسن الطرق الموصلة إلى اللّٰه وأن مؤسسها أعظم مشايخ الوجود وأكبرهم قدرا وأطولهم طولا وأصدقهم قولا يأتيه الوحي دائما ويلازمه رسول اللّٰه ﷺ بدمه ولحمه ملازمة الظل فهو المعصوم من الخطايا والمبشر بخطابات السماء ورسائلها المرسلة من الحضرة الإلهية. وهذا كله نفس ما فعله السمانية لا بل تحامقت وزادت على ذلك وإليك بعض دعواها التي رأت فيها رفع القيود الشرعية وأزالت التكاليف الإسلامية وذلك ليستسهل الناس دربها فيؤثرونها على غيرها وقد أمها فعلا الجم الغفير من الجهلاء عندما صدقوا دعواها فأفضى بهم ذلك إلى ترك الاستقامة ونبذ الاعتصام والتمسك بدين اللّٰه فتساقطوا في هاوية الغضب وإليك جملة من أكاذيب هذه الفرقة التي نشرتها في المسلمين.

من احتضنها الشيخ دخلت الجنة بلا حساب :

لا تغضب أيها القارئ فما افترينا هذا وأهل الفرقة العلماء يؤمنون بذلك ويكنونه في سويداء تلك الأفئدة السوداء ويرددونه فخرا وينشرونه تيها بذلك الشيخ العظيم وتلك الطريقة المباركة ولماذا لا يؤمنون؟ ولماذا لا يفخرون؟ وزاعم ذلك ليس قزما يستهان بقوله بل هو كبيرهم بعد المؤسسين ومرشدهم بعد العلماء الراحلين إنه الحبر الأعظم وحفيد المؤسس الأقدم إنه عبد المحمود

ابن نور الدائم ابن الشيخ الأكبر أحمد الطيب البشير فتأمل ما رواه[١] : « إن سرية شيخه وجده أحمد الطيب والتي أهداها له ناصر ولد أبو لكيلك لما توفيت ودفنت كان الشيخ جالس على شفير قبرها فلما حضر الملكان - يعني للسؤال زعق بهم زعقة عالية ثم قال يأبى اللّه ورسوله أن يفتن أو يعذب جسدا التصق بجسدي فسئل عن ذلك فقال إن الملكين أرادا أن يفتناها فنحيتهما عنها ».

وأقول وابؤساه على مستوى فكر بلغ بصاحبه هذا القاع حتى صار يجمع مثل هذه المهازل ويتحف بها الناس مصدقًا بها بل داعيا إليها إن هذا المسكين يعتقد أن تعري جده مع هذه الضحية المنكودة الحظ وضمه لها عند ثوران شهوته منقذها في دار البرزخ من السؤال وعذاب النار ويصدق أيضا وابؤساه أن الملائكة الكرام تخيفهم زعقة الشيخ وتردهم صيحته. إنني بعد تصديق هذا العالم السماني بهذه المهازل لا أشك أنها كانت ترسخ في نفوس الجهلاء الحرص الشديد على إرضاء الشيخ والتقرب إليه بكل فخذ شهي وجسم طري ولقد فشلنا في معرفة عدد من سلمت من سؤال الملائكة في القبر غير أننا لا نشك أن منافسة قوية قد دارت بين أمهات الفتيات في الوصول إلى حضن الشيخ.

أخي القارئ إنها فضيحة من فضائح هذه الطريقة وسوءة من سوآتها التي لا تحصى وهي أكثر من ذلك دالة على أمرين ظاهرين.

١- جرأة الشيخ وتلاعبه بأتباعه.

(١) أزاهير: ١٥٦.

٢- المستوى المنحط الذي كان عليه أتباع الطريقة من الجهل والمتبادر إلى ذهن كل طالب علم أن هذا القائل كذاب من الطبقة الأولى من طبقات كذابي الدهور وقد نال من نياشين الجراة وأنواط الزندقة ما سبق به أهل عصره على الأقل في تلك البقاع أو أنه - وهذا احتمال ضعيف - صادق في زعمه رؤية صور من هذا القبيل وفي هذه الحالة لابد من التسليم بأنه فريسة شياطين تلاعبت به وصورت له هذه الأمور البعيدة عن الصراط وزعمت له أن هذه المرئيات من حوادث البرزخ لكنني أقول: إن افتراض جهل يبلغ بصاحبه أن يعتقد أن كل من يتفخذها من النساء قد أمنت العذاب يعسر جدًّا على عقول العقلاء ومهما يكن من أمر فلابد من التفطن أخيرا إلى أن مثل هذه المساخر تقتل في نفوس معتقديها من النساء والرجال شعور الخوف من اللّه إذ أن جنة تنال بليلة في حضن الشيخ أحمد الطيب ما أيسرها كما أن برزخا يفيد فيه هذا السلوك لا ينبغي أن يرهب. وأقول مكررا إن مثل هذه الدعاوى الفارغة قد تدفع مئات النساء الجاهلات هذا الحضن العجيب ولكن هل يستطيع هذا الشيخ الرحيم إدخال كل النساء إلى حجرته والمن عليهن بضمته؟ إنه لا يستطيع جزما فلابد له من اختلاق أمور أخرى إذ أن في الساحة جملة من الصيادين المهرة يجابزونه أعنة الحمقى ويخططون مثله لنيل الجاه والحظوة فماذا يختلق؟ لقد وجدها سهلة وإن كانت خالية من عسر فتأملها.

من رأى سرة الشيخ دخل الجنة :

يا عجبي من قرن عاش فيه السمان وتلميذه أحمد الطيب ويا بؤساه من قوم لازموه اعتقادا لولايته، إن تلك الحقبة التي عمرها هذان الرجلان لهي أقرب إلى حقب الجاهلية الأولى وأحشدها لعتاة الشيوخ وأملؤها بضعاف العقول لقد عجزت عن فهم خلق يصدقون مثل هذه التفاهات والمساخر التي لا تحصى لقد زعم شيخهم أن رؤية سرته منج من عذاب اللّه وأنه من دروب الفوز والرضوان والسلامة والدخول إلى جنات عرضها السموات والأرض فصدقوا ذلك وصاروا يتلمسون غفلاته وغفواته لينظروا سرته ويتلصصون لمشاهدتها! يا سبحان اللّه لقد حرت في هذا الضرب من الناس ألهم أعين يبصرون بها وآذان يسمعون بها وعقول يفكرون بها؟ لقد بدا لي أول قراءتي لهذه الدعاوى أنها من جنس مكر المتصوفة للإيقاع بالنساء ولكنني أبعدت هذا عن فكري رحمة بالمتعصبين للفرقة المبرئين لقادتها من صغائر الذنوب وكبائرها فقلت هذا إذا من باب المزيد من الرحمة على النساء فمن ضاجعها أدركت ما سبق ذكره ومن لم تتمكن من إدراك هذه المزية فحسبها أن تنظر منه جزءًا من عورته أما الذين لازموه من الرجال فإن هذا الموضع يسهل عليهم نظره ولو بطلب صريح من هذا الجريء وقد حيرني كثيرا أن هذا الجزء المعظم والمدخل إلى رحمة اللّه هو مبتدأ عورة الرجل عند الفقهاء فلماذا وضع شيخهم يا ترى سره في هذا الموضع المحرج؟ لقد عسرت الإجابة لذهاب المدعي وتدافن معاصريه ورعاعه الأول ولم يبق إلا هذا الإرث المخجل سلمنا اللّه والمسلمين منه، وليت قائم الفرقة الآن يكشف

لأتباعه هذا السر العجيب لقد حكى عبد المحمود نور الدائم فقال[1]: «ومن ذلك ما أخبر به الشيخ فضل اللّه الضحاوي قال كنت أطلب رؤية سرة الشيخ عندما سمعت أن من رآها لم تأكله النار، فذات يوم ركب الشيخ إلى محل بالقرب فحملت نعليه ماشيا خلفه وفي نفسي ذلك الخاطر فالتفت إلي وقال: يا فلان إن من رآني لم تأكله النار».

وما ينبغي أن يتأمله القارئ ويتفكر فيه طويلا ذلك المستوى الموغل في الجهالة لناقل هذه التفاهة وهو حفيد المؤسس وعالم السمانية المعتبر في زمانه ليعلم القارئ أن هذه عقيدة علماء الفرقة قبل جهالها وهي المنقبة العظيمة والمتوارثة بينهم. والذي أرجوه هو أن يسعفنا السمانية برد شاف على سؤال لابد أن يدور في عقل كل من يطلع على هذه الدعوى وهو: هل هذه المناقب التي نحن بصددها قد انقطعت بموت الشيخ أم أنها متوارثة فعلا؟ ومن الذي ورثها من رءوس السمانية؟ ونحن في انتظار الرد من القائمين الآن أرجو أن يتأمل معي القارئ حال ذلك المسكين الذي يسعى خلف شيخه الراكب وهو يحمل نعليه ويتفكر في طريقة الوصول إلى تلك السرة الأسطورية لينجو من عذاب اللّه، فلو أنك تأملت هذه القطعة المحزنة لأدركت قدر الجناية التي ارتكبتها فرقة السمانية بالأمة، ولعلمت أية أذية ألحقتها بالبلاد والعباد وأية ضربة وجهها أحمد الطيب للإسلام والمسلمين. إن المبكي حقا أن يلمس الإنسان حرص ذلك المسكين الساعي على أرجله خلف شيخه وهو مشغول بما ينجيه يوم القيامة ولا يدري أن هذا الشيخ الذي يتبعه لإدراك هذا

(١) أزاهير الرياض: ١٨٣.

المأمول هو دماره وهلاكه. فاللَّهم اطمس على آثارهم واقض على أفكارهم واكشف للناس ضلالهم وغيهم، إنك سميع الدعاء ومجيبه يا ذا الجلال والإكرام.

إن رؤية السرة قد لا تتيسر في كل حالة كما أن المضاجعة لكافة النساء قد تعسر فهل هناك طريقة أخرى ليثبت بها الشيخ عظمة طريقته ويجر بها المزيد من الأتباع؟ نعم إن الشيخ قد أدركها إنها أسهل مما مضى بل هي في مقدور كل أتباعه فما هي:

من رآني دخل الجنة :

ورؤية الشخص دائما أيسر الأمور خاصة إن لم تقيد بحالة فمن ساكن إنسانا رآه لا محالة على حالة ما ماشيا أو قاعدا أو راقدًا... إلخ فهذا كله أيسر من نزع الثياب والالتصاق بجسد الشيخ أو النظر إلى جزء من عورته فدعواه الجديدة هي رؤيته بلا قيد وذلك ارتفاع إلى مستوى المنافسة الدائرة بين مشيخة السوء وهاك زعمه بحروفه[1] « **من رآني أو رأى من رآني أو رأى من رأى إلى سبعة لم يحرق بالنار** » فأقول لأخي القارئ ما هو السلوك الطبيعي المتولد في نفس نزهت شيخها من الزلل والوهم ورفعته إلى درجات الأنبياء بل زادت أحيانا؟ ما هو السلوك الطبيعي لمحروم من العلم عار عن السنن ملئ بالدجل محشوا بالأوهام قد نشأ وترعرع في أحضان الخرافة؟ لا أخالك أيها المنصف تخالفني إن قلت إن السلوك الطبيعي لهذا المحروم هو التخلق بهذا الوهم والتطلع الدائم إلى وجه شيخه لينجو من عذاب اللَّه فما

(١) أزاهير : ١٥٤- ١٨٣.

له والقيود الصعبة وما له ومعاناة التكاليف وقد أخبره المطلعون على غيب السموات والأرض كشيخه أحمد الطيب أن الجنة أيسر مما يظن وأسهل مما يعتقد وأن مجرد النظر إلى شيخه هذا سيدخله الفردوس الأعلى فهل هناك يسر أعظم من هذا؟ لا وألف لا ، فإن ما قاله شيخه هو الحق لا يبحث عن براهينه لأنه برهان قائم بذاته فهو خاشع لهذه الدعوى خاضع لهذه المقولة قد ضمن بها أعظم الزاد فهو لذلك يتصفح وجه شيخه صباحًا ومساءً، وهكذا تتوالى طوابير المخزولين فيتزودون بالنظر إلى من نظر فإن لم يوجد ينظرون إلى من نظر إلى من نظر إلى من نظر... ويتوارث هذا الوهم القاتل ويتخذ زادا ليوم تشخص فيه الأبصار حتى إذا دهم أحدهم الموت علم أنه لم يصنع خيرًا وإذا الخزي والندامة... إن مشيخة الضلال لم تتوانى عن الكذب وسترشد وتنصح أتباعها ولكن لا لما فيه خيرا بل لما فيه مغنما لها فانظر هداك اللّه إلى هذه الكذبة الكبرى.

زيارة أحمد الطيب كالحج الأكبر :

يذكر عبد المحمود نور الدائم في فصل ثناء العارفين على أحمد الطيب وهو الفصل الذي حشد فيه كل ما يؤمن به فيقول[1]: «وكان الولي الصالح الزاهد الفقيه الأمين ولد دفين أبي عشر قد سمع رجلا بحضرته يقول: زيارة سيدي الشيخ الطيب هي الحج الأصغر فقال له: ليس كما قلت بل زيارته الحج الكبر، هكذا سمعته من شيخنا». انتهى.

(١) أزاهير : ٧٤، مع قصيدة شيخ المسيد لعبد الرحيم وقيع اللّه.

قلت: لاحظ أن هذه الترهات ليست من إنشاء العوام في تلك النحلة وإنما هي نقول علمائها فعبد المحمود ينقل هذا عن شيخه السمان ثم ما زالت مشايخ السمانية تتناقل هذا مصدقة به حتى قال صاحب الزريبة الآن في بعض قصائده واصفا شيخ الفرقة الأول:

كونه ذاكر فمه المعيد زورته حجة ورؤياه عيد

فها هم مشايخ الفرقة وها هي إرشاداتهم المضلة ونصحهم المدمر. إن من تأثير هذه الأكاذيب ما رأينا بأعيننا من يجاور القباب تقربا لشيخه وطلبا للنجاة لاعتقاده أن زيارة هذا الدفين مثل حج البيت الحرام ها هي الأمة كلها تشهد بعض صور العبادة المشروعة لحاج البيت الحرام كالطواف والسعي والحلق والتقصير في سوح القبور والأضرحة والابتهال إلى المقبورين وهذه ذات الوثنية التي أرادها المبطلون قبحهم اللّه وقبح مبعثهم وقد أفرز هذا الجهد الشيطاني بعض أحبار تكلفت حشد الشبه لإلباس هذه الجاهلية ثوب الإسلام كما صنف بعضهم كتابا أسماه «مناسك حج القبور» فجعل لهذه الجاهلية سننا ومفروضات ولا حول ولا قوة إلا باللّه وتاللّه ما مررت بمثل هذه البلايا إلا ذكرت قول اللّه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٠-٣٣]

ونعود إلى زيارة الشيخ التي عظمتها السمانية فنقول: إن السمانية تزعم أن زيارته كأداء فريضة الحج وتزعم مقابل ذلك أن إحراق نفائس الحرم المكي ثم نقض هذا البنيان المحبب إلى ملايين المسلمين في مشارق الدنيا ومغاربها وتدميره أهون على اللّه من إيذاء أحمد الطيب البشير شيخ السمانية أو من كان مثله. ولا يخفى عليك أيها المسلم أن ترتيب الموازنات والخضوع لحساباتها يقتضي التسليم بأن تدمير قبة الشيخ وتخريب قبره أعظم جرما في حسابات السمانية من سرقة الحجر الأسود أو نقض ذي السويقتين لبنيان الكعبة آخر الزمان فما عسانا أن نقول في زمرة عمياء صماء مثل فرقة السمانية؟ فرقة تنصح بالكفر وتغرس الزندقة وتصنع من شباب الأمة وكهولها جيشا من العميان. اللَّهم امح آثارها واستأصل أحبارها فلا تحس لهم الأمة بعد اليوم من أحد أو تسمع لهم ركزا.

من عرف اسمي دخل الجنة:

ما زالت ترهات الشيخ باقية بل وافرة ومننه على رعاعه متواترة فها هي كذبة أخرى من كذباته وجراءة بالغة من فجراته ها هو عبد المحمود يروي بأسانيده المسلسلة بالكهنة و الجهلاء فيقول عن بعضهم: «سمعت الشيخ أحمد الطيب يقول طرحت علي صحيفة من قبل الحق سبحانه وتعالى مكتوب فيها بقلم القدرة: سلام قولا من رب رحيم إلى عبدي أحمد الطيب قد غفرنا لك ولوالديك وأهل قرابتك قال قلت: ظني بربي أكثر من هذا. قال فجاءتني أخرى فيها ما في الأولى وزيادة: ولأهل قرابتك أجمعين قلت: ظني في ربي أكثر من هذا قال: فجاءتني ثالثة فتضمنت ما في الصحيفتين وزيادة: كل من عرف اسمك» هكذا يزعم وقد جاء في هذه الطامة ظلمات وفي تلك

الظلمة ظلمات. ولكنها مرت على المساكين وآمن بها المخزولون، إن الكذاب يزعم أن ثمة مكاتبات قد جاءته من ملك الملوك حملت له جملة من المنن وطائفة من النعم كان آخرها جملة: من عرف اسم الشيخ الطيب رضي عنه اللَّه وغفر له جرائمه وموبقاته وأدخله واسع رحمته وفسيح جناته. والظاهر أنها الفردوس فإنه لا يترك فرصة استعلاء لغيره من صيادي الجهلاء يا سبحان اللَّه كم عبثت المتصوفة بالأمة وكم طمست لها معالم دينها. فباللَّه عليك أيها المسلم الغيور كيف ترتفع أمة نزلت إلى هذا الحضيض الفكري وكيف تصحح عقائد لوثت كهذه؟ لقد أعطى الشيخ هذا لنفسه منزلة لم تعط لأنبياء اللَّه ورسله وهذا وما كان مثله يكشف عن نفسية بلغت في التيه والغرور حدا لا يتصور.

فإن هذا الذي يزعم هذا الشيخ لنفسه لو زعمه لرسول الأمة ﷺ لعد متآمرًا على الأمة وخائنا لأمانة التكليف ولاعتبر أكبر المبتدعين على طول التاريخ فكيف يزعمها لكاهن ضال ومضل اللَّهم إن الأمة الآن تحت وطأة ضرب من الشيوخ اقتادوا الأمة وشردوا بها في فيافي التيه والهلكة فاللَّهم سلط على هذه المشيخة جنودك الذين يصارعون لتكون العزة في الأرض لك والتبعية لرسولك ﷺ، واعصف بكل ما شيد المتصوفة المبطلون. أيها المسلم اللبيب إن أوامر النبي ﷺ وما أوحي إليه من قرآن ترد على هذا الخائن المتلاعب وحسبك ما في الكتب من البشائر النبوية بالجنة لهذه الأمة فإنها لا تؤسس دائما إلا على أمر أو نهي فلا تزلزلنك أقوال الجنود الإبليسية وتعرف على مداخل جنة اللَّه في كتاب اللَّه وسنة الرسول ﷺ وفقك اللَّه وعافاك ثم تأمل معي هذه الأكذوبة.

من نسب قبر ميته إلى الشيخ لم يعذب :

ها هو عبدالمحمود يقول بالحرف[1]: « **من قال عند حفره لقبر ميت من الأموات هذا قبر أحمد الطيب فلا يعذب ولو لم يكن من أهل الطاعات** ».

انتهى أخي المسلم. ستعذرني إن قلت لك إنني أجزم بخيانة هذا القائل وتآمره فإن غباء يصل بإنسان إلى مستوى يظن معه أن من يتعرى معها ويشبعها ضمًّا ولثمًا ستنجو من سؤال القبر وعذابه وأن من عرف اسمه ودخل جنة ربه وإن كان فاسقًا وأن من قيل عند حفر قبره هذا قبر الشيخ أحمد الطيب سيدرك السلامة في القبر وعند المحشر وإن كان من أهل التمرد على اللّه لا يمكن أن يتصوره ذو عقل فإياك أن تصف هذه المشيخة بأنها قد جاهدت لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن المعصية إلى الطاعة أيها المسكين. إياك أن تعتقد أنها من فرق الإرشاد ونصح العباد ولكنها ممن يعني أتباعها قول اللّه لموسى وأخيه هارون في تنبيهه القائل ﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٨٩] وإلا فأرشدني مشكورا إلى مرتكزات هذه الغرائب من أقوال المبعوث رحمة ﷺ وأقول أخيرًا: ليس هذا آخر ما عند السمانية بل ما زال في الجعبة زورا وفي الوفاض شرورا، ولكن هذا يكفي كل من أراد التعرف على هذه الفرقة الزائفة ومن أراد الاستزادة من هذه المساخر فعليه بمؤلفات الفرقة فإنه سيجد فيها حشدا هائلا من الغرائب كقولهم: من دفن في كرري دخل الجنة ومن دفن في الجموعية دخل الجنة ومن أكل مع سماني دخل الجنة ومن صلى خلف تلميذ الشيخ لم تأكله النار... إلخ.

---

(١) أزاهير: ١٥٥-٢٨٢، وانظر مع هذا ديوان الدليل للبرعي.

الباب السابع

أغلال العبودية والاسترقاق

إرهاب الأتباع

لا يزور شيخه إلا وهو طاهر

منع السمانية من زيارة مشايخ المسلمين

نزع العمائم وخلع النعال

طاعة الشيخ وإن خالف ربه

إرهاب الأتباع:

بعد أن رغبوا العامة في الالتفاف حولهم وادعوا لهم تمكنهم من عالم الآخرة وجناته سلكوا طريقا آخر هو الترهيب لكل من خالفهم فنشروا الأكاذيب وأخافوا البسطاء ببعض صور البطش والنكال التي حاقت وستحيق بكل مخالف لهم وذلك لأن مرامي المشيخة عريضة لا يبلغونها إلا بحشود ضخمة من الجهلاء ولهذا امتلأت مؤلفاتهم بقصص ينخلع لها قلب الجاهل وإليك أمثلة لهذه الألاعيب لتعلم أنها ولاية مثلثات ورجالها من توابع الجن لا أكثر.

انظر إلى ساكن الزريبة كيف يقول:

سلم لقومك ثم كن عبدا لهم   واخشاهم يوما كخشية ضيغم

هكذا يريد من كل أتباع طريقته أن يكونوا عبيدا ثم يصرح بأنه يريدها عبودية قهرية الخروج منها يسبب النكال ويسوقهم إلى البطش والفتك فيزرع في قلوب المساكين الرهبة البالغة منه ومن أشباهه قادة الفرقة، انظر إليه ثانية يتوعد كل من مال عن طرائقهم بالنار وبئس القرار فيقول:

دليل الأدلاء الأولياء... الكمال آمنا وآجلا... الفيهم أنكر طالح...
من فوق تدلا... موعود بسوء الخاتمة... وسعيو ضل.

وفي قصيدته نجوم الليل يقول مشددا متوعدا:

ديل الفراس... في الكون حراس... البرفع راسو ليه يواسو...

وهذا الأسلوب قديم توارثته المشيخة كابرا عن كابر فذاك مصطفى البكري يقول:

لي الأكوان والتصريف حقا بلا ريب فدع ذاك الجدال
فسيفي قاطع فاحذره تنجو وإلا ذقت أنواع النكال
مريدي أنت مني في احتراز فلا تهتم من قيل وقال

وهكذا فإن قادة هذه النحلة يفهمون جيدا أن هذا الأسلوب ناجح جدًّا في سوق العامة إلى زواياهم وتبعيتهم فأكثر العامة يخشون المجهول ويطلبون الحماية من عزيز الوادي مثل الجاهلين الأولين فقد كان المسافر إذا آواه المبيت إلى واد أو جرداء موحشة نادى عزيز الموضع من الجن لائذا به. وهكذا أفلح مشايخ السوء بإيهام العوام أن عالما يتخلل الناس ويبطش بهم وأن تدميرا خفيا يتهدد الناس لا نجاة للناس منه إلا بالتوكل على الكهنة والدجالين وطلب حمايتهم والأعجب في هذا العجب أن يكون عالم الأولياء أحد هذه العوالم الباطشة المخيفة والحق أن هذا الذي يروجونه لا يصح عن أولياء اللَّه عز وجل وإنما هي أكاذيب ولاية الأوفاق وأصحاب ملططايش وأمثالهم من زمر الجهل والشرك وقد يمارسون هذا الأسلوب مع أنصاف المتعلمين لتخويفهم من العمل بالقرآن الكريم والسنة النبوية لهذا اختلقوا قصصا ولفقوا أخبارا أخرت كثيرا من ضعاف الإيمان وبسطاء العلم كزعمهم أن الحافظ ابن حجر مر يوما على الصوفي محمد أحمد محمد علي فقال في سره: ما اتخذ اللَّه وليًّا جاهلًا ولو اتخذه علمه ووسوس بهذا على وجه الإنكار عليه فقال له الولي: يا قاض فوقف ابن حجر فأمسكه وصار يضربه ويصفعه على وجهه ويقول: «**بل اتخذني وعلمني**» وكزعمهم أن أحمد بن حنبل كان

ينهى عن مجالسة المتصوفة حتى هبطوا عليه يوما من الجو فاعترف لهم وسلم لهم بعد ذلك.

وإن شيبان الراعي ناظر الشافعي وأحمد فأعجزهما وأبان لهما قصور باع في العلم.

هذا كله وأكثره يوجد في مؤلفات السمانية وانظر إلى عبدالرحيم كيف يوهم المساكين بأنواع الأوهام وكيف يعدهم أضغاث الأحلام:

ألا يا من تريد الوصل شمر   وقف بالباب صامت لا تكلم
وادخل بالخضوع بغير كبر   وعند مقامه ابرك وسلم
لتحظى بالفيوضات العوالي   عيانا بعضها في النوم يحلم

وقد لزم أتباعه الأمر وأخذوا بظاهر أمره فجثوا على أبواب القباب وسجدوا أمام الأضرحة في صمت وخشوع فالدفين عندهم عالم بخفيات الصدور ومطلع على نوايا الدامعين وأمنياتهم وتأمل قصيدة عبد الرحيم المسماة «الإسلام والإيمان» عندما يقول:

من زارهم قضيت في الوقت حاجته   وعاد وهو قرير العين مزدهر
كم من فقير صار ذا جدة   يهتز تيها علاه الشكر والبطر
وباغض القوم بالبغضاء مرتديا   بين الورى وهو بالحرمان متزر

وفي قصيدته «دعني أصحاب ساتي» يقول:

وازورهم في كل حين طالبا   بركاتهم وأنا لديهم خاشي
ما مسني سوء وجئت ركابهم   إلا وعني ذاهب متلاشي

هم عدتي عند الشدائد كلها هم ملجئي في كل خطب فاشي
هم موئلي عند الكروب ونصرتي هم موردي يروي لكل عطاش

هذا وقد ساعد الطابعون لهذا الديوان بشرح فريد لمقصد هذا القائل الزائغ إذ صوروا قبة حولها جمع من البشر منهم المنحني ومنهم من يمد يديه تجاه القبة وفوق هذا الجمع البشري المكون من النساء والرجال جمع آخر من الطير.

إنهم يشيرون إلى أنه يروم من صاحب القبة ما يريده الناس هداهم اللّه وإليك أخيرا ما قاله عبدالرحيم في قصيدته سفينة القوم.

نال المريدون للخيرات أجمعها بصحبة القوم دنياها وأخراها
والكلب فاز لما جالس الصلحا ونال في جنة الفردوس أعلاها

وأقول قبحت وساء مسعاك كم بينك وبين أهل الكهف؟ هم فارون من وثنية منافرون لجاهلية وأنت - خسئت - سماع لطاغوتية مجاهد لصنمية هم يهربون استمساكا بمنهج اللّه وأنت تجهد لإبعاد الأمة عن منهج اللّه وتسعى لتخويف الأمة من سطوة صالحيك وبطشهم وأنت تعلم الأمة بإحاطة الصالحين بظاهر الغيوب وباطنها وتؤكد أن أيادي الصوفية قابضة على خزائن اللّه الغيبية وأن لها القبض والبسط والخفض والرفع والخلق والأمر إنك يا داعي السوء ومن على شاكلتك تأمر أتباعك أن يتقبلوا كل أوامر الصوفية وإن خالفت كتاب اللّه ونافرت سنة النبي ﷺ وزعمت أنك وإخوان طريقتك مع محمد كالخضر مع موسى وأقول أيضا خذلت وضل سعيك وفجرت وخاب أمرك فإن الخضر نفسه لو جاء الآن وبعث من قبره للزمه

اتباع طريق محمد ﷺ ولحرم عليه مخالفته ويلك أيها المخدوع لقد قال اللّه عز وجل في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨٢].

وقد فسر علماء الأمة المعتبرون كابن عباس وغيره هذه الآية بأن اللّه أخذ ميثاق كل الأنبياء أن من أدرك محمدا ليتبعنه في دينه وليجاهدن معه ولهذا قال ﷺ[١]: «**لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي** ».

وقال أيضا: «**لو كان يوسف حيًا ما وسعه إلا اتباعي**»[٢] .

وهذان الحديثان يمثلان أكبر قاطع لطريق ضربين من الناس فتأمل. أقول: أين أنت من فتية الكهف ليكون ملازموك كما ذكرت؟ أين أنت من فتية شهد القرآن لهم بالإيمان والهداية؟ ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]. لقد صيرت ما بين أتباعك وبين خالقهم قفرا يبابا وجعلت ما بينهم وبين الجاهلية الأولى كما بين سبابتك ووسطاك فكيف ترقى بأتباع الجاهلية التي أسستها إلى مرقى أهل الكهف وما ذكر معهم؟ لقد كفرنا بك وأنكرنا سعيك بعد أن لمسنا تحريفك وشاهدنا خبطك فاصلنا بنارك وزج بنا في مهاوي غضبك فواللّه ما بثت شيئا يخالف ما جاء به رسول اللّه ﷺ إلا رددنا عليك أمرك وكشفنا سوء فعلك فاستقم وتب أو

---

(١) لو كان موسى... أحمد بإسناده حسن.

(٢) لو كان يوسف حيا... قد نسبه الألباني إلى مسند الحارث بن أسامة .

اجهد في هذا الطريق فإنا جاهدون ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ وأخيرا أرى من المناسب إن شاء اللّه أن أختم هذا الفصل بهذه الفضيحة الكبرى ففي جامع الأوراد السمانية ذكر الآتي[١]: «سلوك طريق القوم والتبحر في العلم أيهما أنفع؟ الجواب أن الأنفع للمريد سلوك طريق القوم» وفي هذا أكبر دليل على أن هذه النحلة مجمعا للجهلاء وتكتلا للأغبياء وهم بهذا الوضع أشبه الناس بذلك النوع المحذر منه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

لا يزور شيخه إلا وهو طاهر:

لقد أوجب السمانية ذلك على مريدهم فشاقوا بذلك رسول رب العالمين وسيد ولد آدم أجمعين إذ أن رسول اللّه ﷺ لم يأمر أمته بهذا المسلك ولم يضرب عليهم هذا الإصر وما غلها بذلك الغل لقد كان ﷺ رحمة مهداة سهلا يسرًا ميسرًا بعث ليضع عن العالمين قيود الشدة وعنت العقول وعسر النظريات ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فكفى بذلك فاضحا لهذه الفرقة وكفى برهانا على خيانة مشيختها. لقد درج المتصوفة على انتهاز فترات الجهل ليتسللوا إلى مواطن الغباء حيث يروج في هذه المواقع كل هوس وقد أفلحوا أحيانا غير أن أوان الكشف قد حان لقد تبع أبو هريرة رسول اللّه ﷺ يوما ولكنه انخنس عنه في بعض طريقه وعندما عاد سأله رسول اللّه: «**أين كنت**» فقال أبو هريرة: كنت جنبًا وكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة، فقال[٢] رسول اللّه ﷺ: «**سبحان اللّه،**

(١) مجمع أوراد السمانية وأزاهير الرياض.

(٢) حديث المؤمن لا ينجس... رواه الجماعة عن أبي هريرة وورد مثل ذلك عن حذيفة.

المؤمن لا ينجس» فكان هذا إعفاء لأمته من هذا المسلك رحمة بها من هذا العسر لكن السمانية ترى أنها أولى وأجدر أن تعامل بما لم يرضه رسول رب العالمين فأشهدت بذلك على مشاقتها وأظهرت ضلالها ومفارقتها فما أجدر فضحها وما أعظم تبيين أمرها أسأل اللّٰه أن ينقذ المخدوعين من أتباعهم.

منع السماني من زيارة مشايخ المسلمين:

قال في آداب الطريقة[1]: «لا يحضر مجلسا غير مجلس شيخه فلا يسمع من سواه حتى يسقى من سر شيخه... وقال غامزا من لم يرض بهذا الحكم: خطابي هذا للصادقين المجدين لا لكل من تلقن عليه الذكر» قلت: الأمر الذي ينبغي أن يكشفه لنا مشايخ الفرقة هو ماذا يدور في مجالس غير السمانية حتى يحرم غشيانها؟ لنقل مثلا مجالس مشايخ التجانية ما الذي دفع شيخ السمانية أن يحذر منها؟ فإن كان ما فيها نافعا فلا ينبغي أن يمنع منها وإن كان فيها ضلالات وجب على السمانية التحذير الصريح منها وكشف ما فيها بلا مواربة. وإن زعموا أن فيها خيرا وذكرا بما في الكتاب والسنة حرم على السمانية التحذير منها والنهي عن غشيانها وإن زعموا أن فيها غير ما ذكر شهدوا على شيخ الزريبة بالضلال لأنه امتدح التجانية ومنشئها في قصيدة . أقول هذا من باب الإلزام وإلا فنحن نعلم أن منع زيارة الغير هو مسلك كل الطرق الصوفية كالختمية والتجانية والقادرية والبرهانية والسمانية... إلخ وليس من وراء ذلك حكمة إلا احتباس أكثر عدد من الجهلاء حتى يستمتعوا بأموال أتباعهم دون منازع قد يكون أقوى وأمهر في الصيد والقبض على جيوب المساكين. لقد كان مسلك مشايخ الأمة الإسلامية

(١) مجمع أوراد الطريقة، أزاهير الرياض : ٢٣٧.

منذ قرون الخير وإلى يومنا هذا يخالف هذا المسلك الخائن الخاطئ من كل وجه فما زال طلاب العلم والإرشاد يتنقلون من شيخ إلى آخر أما هذا المسلك الذي يسلكه السمانية فلا يدل إلا على أحد أمرين وهما أن يكون القائل لهذا مضللا لغيره من المشايخ متهما لهم وإما أن يكون هو الخائن الضال يخدع جلساءه بأنواع الخدع ويخشى أن ينكشف كذبه وضلاله إذا اجتمع تلاميذه بغيره. أخيرا أنبه القارئ إلى قضية أخرى وهي أن قول المتصوفة «**إن حضرة الشيخ هي حضرة الله**» لا تفيد العموم فإذا قالها البرعي فإنما يعني نفسه وأهل فرقته وإن قالها التجاني فإنما يعني بها مشيخة فرقته فقط فإن قالها بعض المرغنية فإنما يعني بها مشيخة الختمية فقط. وأقول بيقين صدق ربنا تبارك وتعالى إذ يقول: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾.

نزع العمائم وخلع النعال:

قال عبد المحمود[١]: «فإن قلت إنا قد رأينا جماعة من المشايخ ينسبون إلى الطريق ولهم آداب منفردين بها وحدهم كخلع العمائم عند رؤية من يريدون تعظيمه من مشايخهم وخلع النعلين والطاقية وشد الوسط والجثو على ركب الأرجل وغير ذلك مما هو داخل في هذا المعنى هل لهم أصل يعزرون به أم لا؟ الجواب نعم لهم أصل يعزرون به».

قلت أما هذه الآداب المذكورة فقد رأيتها بعيني عندما دخلت إلى مجلس رئيس نحلة السمانية وقت ذاك وإليك ما رأيته في ذلك اليوم البعيد من أيام

(١) أزاهير الرياض: ٢٥٤.

١٩٧٢م رأيت شيخا نحو الستين إن لم تخني الذاكرة يجلس على شيء عالٍ وأمامه برحة واسعة بحيث يظهر الشيخ لكل داخل إلى هذا البرحة فإذا دخلت زمرة الزائرين وطالعت شيخها نزع أفرادها العمائم وشدوا بها أوساطهم ثم أقبلوا يمشون في هدوء شديد وخشوع ظاهر وهم حفاة الأقدام حتى إذا ما صاروا على بعد يقارب العشرة أمتار جثوا على الأرض واتجهوا نحو شيخهم يسيرون على هيئة ذوات الأربع والشيخ يتأمل هذا القطيع صامتا حتى إذا وصلوه مد يدا قد طيبها السدنة خصيصا لهذه المقابلات فتزدحم الزمرة عليها للبركة ويوسعونها تقبيلا وقد ينتحب بعضهم عليها ثم يقدمون طلباتهم همسا في أذن الشيخ أحيانا وبأصوات باكية ظاهرة أحيانًا أخرى والتي تتفق في الغالب في طلب الذراري والوظائف وإرجاع الضائعات والشيخ يستمع وعليه آثار الانتفاخ وبعد إكمال الطلبات تمتد كافة الأيدي تحت مخدة رأس الشيخ ويضعون أموالهم سخية بها نفوسهم فيمنيهم الشيخ بعظيم الأماني ويعدهم وما يعدهم الصنم إلا غرورًا.

وأقول: تاللَّه ما سبب رسول اللَّه ﷺ لأمته نكبة كهذه لقد كان يجالس أصحابه كواحد منهم لا يتميز عليهم في جلسة كما تفعل هذه المشيخة بل ما كانوا يقفون عند دخوله عليهم خشعا لعلمهم بكراهيته لذلك كما قال أنس ابن مالك رضي اللَّه عنه. وما رئي طيلة عمره الشريف يجلس في شاهق وأصحابه يتقدمون نحوه على تلك الهيئة الحيوانية اللَّهم لا فما استحى هؤلاء أن يسنوا آدابا لتعظيم شخوصهم جردوا فيها أتباعهم من الهيئة الإنسانية والصورة البشرية ولم يكن ﷺ قابعا في داره مثل هؤلاء وإنما كان يزور أصحابه في منازلهم ويحادثهم في الطرقات ويلاطف أطفالهم في سكك المدينة فقبح اللَّه البدعة والمبتدعة وكشف أمرهم للناس إنه سميع مجيب.

طاعة الشيخ وإن خالف ربه :

وهذا الأدب مجمع عليه بين فرق المتصوفة فقد فرضت كل فرقة على أتباعها طاعة شيخ الفرقة وإن كان عاصيا في أمره للّه ولرسوله قال عبدالكريم السمان:

وسلم إلي الأمر في كل لحظة   وكن سامعا نهيي لأمري طائعا

قال شارحه: وفي هذا البيت إشارة إلى المريد إذا حكم أستاذه في نفسه لا يحل له اختيارا معه ولا إرادة بل يكون بين يديه كميت بين يدي غاسله يقلبه كيف يشاء قال: وكن كميت بين يديه إن شئت أن تحظى بما لديه.

ولما كان التسليم شرطا على كل مريد أن يتصف به عند سادتنا الصوفية ذكره الناظم بصيغة الأمر وسواء كان الأمر من أمور الدنيا أو الآخرة وكن في كل حالة أمرتك بها قائما بأمري ولا تقدم على فعل شيء ما مطلقا إلا إذا أمرتك به ولا تنهى عنه إلا بنهيي لك فإياك والبحث مع شيخك عن حكمة ما يأمرك به أو ينهاك عنه فعليك بطاعة الأستاذ وإن أمرك بأمر مخالف في الصورة للمشروع »[1] انتهى.

قلت: ثم أخذ بعد ذلك الكلام يحرف معنى كل نص شرعي يبطل هذا التوجيه السماني الزائغ فطالع قوله بأكمله إن شئت وبمثل هذا التوجيه صنع المشايخ زمرا صماء بكماء لا تعي من أمر دينها شيئا وهكذا فسدت هذه الأمة وقد كان من أكبر أسباب انحراف أهل الكتابين هو هذا التنزيه البالغ

(١) قطوف أزهار.

لأحبارهم ورهبانهم والانقياد لهما في كل شيء ولقد أنكر رسول الله ﷺ هذا المسلك عندما تلا قوله سبحانه : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] عند رؤيته عدي بن حاتم معلقا صليبه فقال عدي ما عبدناهم فقال النبي ﷺ[١]: «**ألم يحلوا لكم ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه**» قال: بلى، قال النبي ﷺ: «**فتلك عبادتهم**» هذا وقد كان أول هذه الأمة يباحثون الصديق رضي الله عنه في كل أمر يأمر به إن لم يعرفوا دليله وهو خليفة رسول الله ﷺ الأول فكان يحاورهم ويحاورونه فلا يغضب من ذلك وكذلك يحاورون بعده عمر أمير المؤمنين والخليفة الثاني فلا يسلمون له حتى يسكتهم بقول النبي وهكذا كانوا مع عثمان يرشد على ذلك عشرات الأخبار فمن ذلك على سبيل المثال مخالفة علي وابن عباس لعثمان رضي الله عنه في متعة الحج ومخالفة عمار عمر في أمر التيمم ومباحثة فاطمة للصديق في مسألة إرث النبي وتخالفهما ومخالفة ابن عباس لختن النبي وخليفته الرابع في إحراق الزنادقة ومخالفة زيد بن ثابت للخليفتين في أول حكم الصديق عندما أمر بكتابة القرآن ولم ينزل على أمر الصديق حتى استبان له الحق وقبل زيد كانت مخالفة الفاروق للصديق في نفس الأمر ومخالفة الفاروق للصديق أيضا في مسألة قتال مانعي الزكاة حتى استدل الصديق بحديث النبي وتأيد به وهذا أمر يعسر حصره لكثرته.

ويشهد المسلمون أن الصحابة كانوا على الملة المرضية وأن من أرشد بما يخالف هذا المسلك فهو على سبيل شيطان . وهذا رسول الله ﷺ يقول[٢]:

(١) حديث عدي بن حاتم... رواه أحمد والترمذي وابن جرير.

(٢) حديث لا طاعة لمخلوق ... رواه أحمد عن علي وهو في الصحيحين بمعناه.

«**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**» ويقول أيضا: «**إنما الطاعة في المعروف**» فهذا الذي أمرت به السمانية من إطاعة المشايخ حتى فيما خالف شرع اللّه المنصوص إنما هو الشرك بعينه والتمرد الخالص وهو الدخول صراحة في مذمومي الآية الكريمة ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ فاللّهم إنا نعوذ بك من همزات الشياطين ونعوذ بك أن يظفرون بنا آمين.

* * *

الخاتمـــة

أؤكد لقارئ هذه الفصول أن كل ما ذكرته عن هذه النحلة الصوفية صحيح النسبة إليها، لم أختلقه ولم أزوره فإني أعلم يقينا أن اللّه القادر العليم سيسألني عن كل حرف كتبته وأوقن أن من تطلب العيوب للبراء توبع ببلايا الظلم وجوزي أبشع الجزاء كما أؤكد له أنني لم ألتقطه من مؤلفات خصوم الفرقة ولا بعضه لأجل بلوغ النهاية في النكاية فإن هذا المسلك ينافي الإنصاف وبالتالي فإنه نقص في إيمان العبد إذ أن الإنصاف من الإيمان كما في أثر عمار بن ياسر رضي اللّه عنه. كما أؤكد للقارئ اللبيب أنني لم أجد لهذه الأباطيل تأويلا مقبولا ولم أجد لها محامل حسنة تصرفني عن التشنيع عليها وتوجيه هذا النقد لها. أما القسوة في الحكم فهي مردودة إن لم يؤيدها قرآن ولم تسندها سنة فالإسلام قد أقر الشدة في موضع الشدة كما هو معروف ومطلوب من القارئ الكريم غض النظر عن هذا وتأمل ما انتُقد من سلوك هذه النحلة فإن كان المنتقد فعلا من منكر القول وزوره أعلن تأييد الشدة في النقد وإلا فنحن على استعداد لإثبات الحكم الشرعي على كل ما اشتددنا عليه وفصل ما بيننا أخيرا عند ملك الملوك الذي لا يجور ولا يحابي، وحسبي هاهنا أن أدافع عن ملة كلفت كواحد من أتباعها وفرد ممن صارت أمانة في أعناقهم وسأفعل ما حييت إن شاء اللّه وبكل ما عندي من قوة واللّه من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل وصلِّ اللّهم وسلم على من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في اللّه حق جهاده حتى أتاه اليقين وعلى آله وأصحابه.

مصادر الفكر السماني

أزاهير الرياض	لعبد المحمود نور الدائم
قطوف أزهار	صديق المدني بن عمر خان
النصرة العلمية	لعبد المحمود نور الدائم
شهد الإفادة	لعبد المحمود نور الدائم
شرب الكاس	لعبد المحمود نور الدائم
جامع الأوراد	
رياض الجنة	لعبد الرحيم وقيع اللّٰه
روائع البرعي	لعبد الرحيم وقيع اللّٰه
الدليل	لعبد الرحيم وقيع اللّٰه
المختار	لعبد الرحيم وقيع اللّٰه
المولد السماني	لمحمد عبد الكريم السماني
الإنسان الكامل	لعبد الكريم الجيلي
الدعوة البرهتية	لمحمد الحسن الميرغني
رياض النفحة القدسية	صديق المدني بن عمر خان
الأوفاق	لمحمد الغزالي

مراجع البحث عامة

١- القرآن الكريم

٢- صحيح البخاري

٣- صحيح مسلم

٤- سنن الترمذي

٥- سنن أبي داود

٦- سنن النسائي

٧- موطأ مالك بن أنس

٨- مسند أحمد بن حنبل

٩- سنن ابن ماجه

١٠- البداية والنهاية لابن كثير

١١- الميزان للحافظ شمس الدين الذهبي

١٢- لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني

١٣- الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية

١٤- قواعد البدع للجيزاني

١٥- تنبيه الغبي للحافظ البقاعي

١٦- تفسير ابن كثير

١٧- تفسير ابن جرير الطبري.

* * *

الفهـرس

الموضوع | الصفحة

الباب الثالث

الملائكة عند السمانية

الباب الرابع

إبليس عند السمانية (لعنة اللّٰه)

الباب الخامس

عالم الأولياء

الباب السادس

إرشادات السمانية لدخول الجنة

الباب السابع

أغلال العبودية والاسترقاق

* * *

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة